الكراهيـة العنصريـــة فـــي السنـة النبويـة

البروفيسور/ عبدالرحمن بن حسن محمد عثمان*

* أَسْتَاذُ السُّنَّة وَعُلُومِ الْحَدِيثُ - قَسْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - كُلية الدَّعْوَةَ أُصُولَ الدِّينِ - جَامِعَةِ أُمُّ الْقُرَى - السعودية.

مستخلص

مرض الكراهية العنصرية من الأمراض الاجتماعية الشائعة الانتشار في وقتنا الحاضر، والتي بسببها ظهرت الفرقة والنعرات العنصرية بين أبناء المجتمع الواحد، وقد حذر القرآن الكريم والسُّنة النبوية المشرفة منه.

لقد جاء الإسلام لينهض بالمجتمعات من عثراتها ويرقيها في جميع مجالات حياتها، حتى يسعد المسلم بسعادة الدارين. ومن هذا الترقي الاهتمام بالسلم الاجتماعي، فأحكم أسسه، وبيَّن طرقه ووسائله، من أجل تحقق الازدهار والنماء للفرد والمجتمع.

إن الإسلام وبما يمثله من رسالة عالمية شمولية جاءت لتنظم حياة البشر، فقد احتوى على جملة من الأسس والمبادئ العامة، التي تنظم التعامل والعلائق بين الناس، من حيث الاحترام والمحبة والمودة، والدعوة إلى أخوة العقيدة والدين، وتنمية موارده، واستغلالها وتدبيرها، ورسم إطار برنامج عمل يحقق التكامل والتوازن الاقتصادي.

ويُعّد هذا البحث دراسة موضوعية تحليلية لمفهومها الكراهية العنصرية في الإسلام، وأسبابها، وآثار المترتبة على الامة الإسلامية، وكيفية طرائق معالجتها في ضوء السُّنة النبوية.

Abstract

The disease of racial hatred is one of the common social diseases that, currently spread, which is caused by division and racist strife among the members of the same society. Holy Qur'an and the honorable Sunnah of the Prophet warned against it.

Islam had come to develop and promote societies in all their life scops, so that. Muslims can be happy in this life and the Hereafter. One of these advances is the attention to social peace, its foundations and its ways and means to achieve prosperity and development for individual and society. Islam, which represents a comprehensive global message that regulates human life, contains a number of general principles and principles governing the interaction and relationship between people in terms of respect, love and affection, advocacy for the brotherhood of faith and religion, the development, exploitation and management of its resources and the establishment of a framework for an integrated and economically balanced programme of action.

This research is an objective and analytical study of its concept of racial hatred inIslam, its causes, and its implications for the Islamic nation, and how to address itin the light of the Prophetic Sunnah

مقدمة

الحمد لله الذي جعل المؤمنين بنعمته إخوانًا، وعلى الخير والتقوى أنصارًا وأعوانًا، يرجونَ من الله المثوبةَ والرَّحْمَة، ويحاذرونَ المقْتَ والنقمة، فلهم البشرى بالذكر الجميل، والنَّعيم المُقيم. والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي جمع الله به القلوب بعد شتاتها، وألَّف بدعوته أقوامًا كانوا يَلُجُّونَ في غَيَاهِبِ الفُرْقَة والأحقاد، فصاروا من أطيب الخلق وأكرم العباد، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وآله، وأصحابه، وأتباعه، وزوجاته أُمَّهات المؤمنين، أما بعد:

لقد ابتلي المسلمون في هذه الأزمان بالكراهية العنصرية، وانتشار الخطاب التحريضي عبر المنابر الإعلامية المختلفة، وعلى منصات التّواصل الاجتماعي، التي تسعى لتغذية فكر الكراهية العنصرية، بعيداً عن أصول الدين، والقيم الإسلامية السمحة. ويعتبر انتشار الكراهية، ذريعة لإثارة التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وتشجيع الصراعات العرقية والقومية، وخلق نزعات طائفية تطالب كل منها بالإقصاء للآخر لكي يعمَّ جو العداوة العنصرية، وهي وسيلة سياسية تعتمدها الدول الاستعمارية، وعلى رأسها الصهيونية العالمية.

ولقد جاء الإسلام بتشريعاته ومقاصده الكلية، محارباً للكراهية العنصرية، في عدد من آيات القران والسنة النبوية، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(1). وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(2).

(1) سورة النساء: الآية 1.
(2) سورة الحجرات: الآية 10.

وفي الحديث: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)(1)، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى.

وأقام الإسلام بدلاً عن الكراهية، أخوة الدين والعقيدة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(2).

قال الزجاج في تفسير الآية: (فأعلم الله- عز وجل- أن الذين يجمعهم، وأنهم إخوَة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا في الاتفاق في الدين إلى أصل النسَب، لأنهم لآدَم وحَواء، ولو اختلفت أديانُهم لافترقوا في النسَب، وإن كان في الأصل أنهم لأبٍ وأم)(3).

وقال الطبري: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(4).

قال:(إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح، ويحسن ذلك لكم؛ إرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح، ليعادي بعضكم بعضًا، ويُبغض بعضكم إلى بعض، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام، ويصدكم عن ذكر الله)(5).

فصاحب العقل السليم، والفطرة السويَة، والإيمان الحق، هو الذي يمتثل لما جاء به القرآن والسُّنة النبوية، من النهي عن أخلاق الجاهلية، والتحلي بمكارم الأخلاق. ولا سبيل لنهضة الأمة وتعافيها في مجالات الحياة المختلفة، إلا بإبطال أسباب الكراهية العنصرية بين أبناءها، طاعة لله تعالى ورسوله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(6).

(1) أخرجه البخاري (8/ 19-6065)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وأخرجه مسلم (4/ 1984-2561)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي.
(2) سورة النساء: الآية 12.
(3) معاني القرآن وإعرابه (5/ 36).
(4) سورة المائدة: الآية 91.
(5) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 565-12511).
(6) سورة الأحزاب الآية 36.

ولأهمية هذا الموضوع في حياة المسلم وواقعه المعاصر، وكذا لما نسمع ونقرأ ونشاهد من تحريض على الكراهية العنصرية، وعبر وسائل الأعلام المختلفة، فكان كل الذي سبق دافعاً ومقوياً للعزم في الكتابة والبحث في هذا الموضوع المهم، ومن خلال السُّنة النبوية كدراسة حديثية موضوعية تحليلية، ولأن السُّنة النبوية هي الترجمة الفعلية لما جاء في القرآن الكريم من تشريعات، ولأن مجتمع الصحابة- رضوان الله عليهم- هو مجتمع الإسلام الفاضل، الذي خرج من عباءة الجاهلية وشقاءها إلى نور الإسلام ورحمته.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- جمع الأحاديث والآثار الواردة في الكراهية العنصرية من كتب السُّنة النبوية.
- دراسة الروايات والآثار الواردة، دراسة علمية موضوعية لبيان التحذير من الكراهية العنصرية..
- إبراز الموضوع المهم، بتجلية جوانبه المختلفة، وتبصير الناس بمسبباته، وعواقبه، وطرائق علاجه.
- تعزيز المكتبة الإسلامية ببحث أصيل في السُّنة النبوية، يتشوق إلى معرفة أبعاده كل مسلم.

ثانياً: أهداف البحث:

- دراسة الأحاديث والآثار الواردة في الكراهية العنصرية دراسة موضوعية تحليلية.
- معرفة الأحكام التي جاءت بها الأحاديث والآثار، ومع قوة الاستدلال والترجيح.
- معرفة أقوال العلماء والحكماء عن الكراهية العنصرية، والتحذير منها.
- البحث عن الدوافع والأسباب والآثار المترتبة، وكيفية طرق علاج الكراهية.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

قبل الشروع في البحث والكتابة فيه كدراسة حديثية موضوعية تخليلية، حاولت أن أجد من كتب في الموضوع أو أفرده بمؤلف خاص به، ولكنى لم أقف على شيء، سوى عدد كثير من المؤتمرات والندوات والقوانين الوضعية على شبكة المعلومات الدولية. وفي جملتها لم تفصل في الموضوع تفصيلاً موسعاً، وكل أورده بحسب مقاصده من تحريم الكره والعنصرية، والبحث عن الحلول لهذه المشكلة، وتجت عناوين ومقالات قصيرة.

رابعاً: المنهج المتبع في البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يسلك الباحث فيه المنهج الاستقرائي التحليلي، من أجل تتبع جزئياته، وتكوين الرؤيا الكلية عن الموضوع، وباتباع الآتي:

أ- تقديم الأحاديث والآثار الواردة في كتب الرواية، والتي تدعو إلى نبذ الكراهية العنصرية.

ب- دراسة الأحاديث من حيث التخريج والحكم عليها وبيان عللها-إن وجدت-.

ج- تتبع أقوال العلماء والفقهاء وأدلتهم فيما ذهبوا إليه في ذم الكراهية العنصرية.

د- مناقشة الأقوال والمسائل التي تكونت لدى الباحث عبر الدراسة والتحليل.

هـ- الحرص على تقديم المطلوب بصورة مختصرة ومحررة بما يتطلبه البحث من الاستقراء والتحليل والمناقشة.

و- توثيق كل النقول والاقتباسات بالرجوع إلى مصادرها وإثباتها في هامش البحث.

خامساً: خطة البحث ومضامينه:

تم تقسيم خطة البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة. فالمقدمة تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والجديد الذي يقدمه البحث

في مجال الدراسات الحديثية، والدراسات السابقة له، ثم الخطة التفصيلية للدراسة، وجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الكراهية ومفهومها في الإسلام.

المبحث الثاني: أسباب الكراهية العنصرية.

المبحث الثالث: آثار الكراهية العنصرية على الأمة الإسلامية

المبحث الرابع: طرائق مكافحة الكراهية العنصرية في السنة النبوية.

خاتمة: وتشتمل على النتائج وأهم التوصيات التي توصل إليها الباحث.

أرجو من الله أن أوفق في جمع شتات هذا الموضوع المهم، وبيان ما فيه من تفاصيل مهمة، تفيد القارئ الكريم، حسبي الله عليه توكلت، وهو نعم الوكيل، وصل اللهم وسلم على نبينا الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعريف الكراهية العنصرية ومفهومها في الإسلام

المطلب الأول

تعريف الكراهية العنصرية

أولاً: لغة: الكَرَاهِيَّة بتشديد الياء، مصدر من قولهم: كَرِهْتُ الشَّيء أَكْرَهُه كَرَاهَةً وكَرَاهِيةً، فهو شيءٌ كَرِيهٌ ومَكْرُوهٌ، إذا لم ترده، وهو نقيض الرِّضَا وَالْمَحَبَّة. والكُرْهُ الاسم. يقال: هو المَشَقَّة، ويقال الكَرْهُ: أن تُكَلَّف الشَّيء فتعمله كارهًا. ويقال: أَكْرَهتُه على كذا: أي حملته عليه كَرْهًا. وَالْكَرِيهَةُ: الشِّدَّةُ في الْحَرْب. وَيُقَالُ للسَّيْف الْمَاضي في الضَّرَائِب: ذُو الْكَرِيهَة. وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْكَرْهَ: الْجَمَلُ الشَّدِيدُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ يَكْرَهُ الانْقِيَادَ والطَّوَاعِيَة[1].

وقد تأتي الكَرَاهِيَّة بمعنى البُغْض، ضدُّ الحبِّ. وقد بَغُضَ الرجلُ -بالضم- بَغاضَةً، أي صار بغيضاً، من بغضت الشيء أبغضه، إبغاضاً: أي مقته وكرهه. قَالَ اللَّيْث:(البُغْضُ: نَقِيضُ الحُبِّ، والبَغْضَة والبَغْضَاءُ: شدَّة البُغْض، ورجُلٌ بَغِيضٌ، وَقد بَغُضَ بَغَاضَةً وَهُوَ [illegible] وَغير مُبَغَّض)[2]. وقال الكفوي(ت هـ): (البُغْض عبارةٌ عن نفرة الطَّبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي يُسمَّى مَقْتًا)[3].

قلت: وقد نوجد فُروق لغوية بَين لفظ الْكَرَاهَة، والبغض، ونفور الطَّبْع، وهي من مترادفات الألفاظ التي بينها عموم وخصوص عند أهل اللغة. قال أبو هلال العسكري (ت هـ):(أنه قد أتسع بالبغض ما لم يتسع بالكراهة، فقيل: أبغض زيداً، أي أبغض إكرامه ونفعه، ولا يقال أكره بهذا المعنى. كما اتسع بلفظ المحبة، فقيل: أحب زيداً بمعنى أحب إكرامه ونفعة، ولا يقال أريده في هذا المعنى. ومع هذا فإن الكراهة تستعمل في ما لا يستعمل فيه البغض، فيقال: أكره هذا الطعام، ولا

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2247)، ومعجم مقاييس اللغة (173/5)، والمصباح المنير (532/2).
(2) تهذيب اللغة (8/ 57)، والقاموس المحيط(ص: 637)، والمصباح المنير (56/1)، والمعجم الوسيط (64/1).
(3) الكليات للكفوي، (ص 398).

يقال: أبغضه، والمراد: أني أكره أكله. كما أن المراد بقولك: أريد هذا الطعام أنك تريد أكله أو شراءه)[1].

وأما العُنْصُرِيَّة: اسم مؤنَّث منسوب إلى عُنْصُر، وهي لفظة (يونانية فلسفية)، أدخلت للألفاظ العربية، وأصلها الأجسام المختلفة الطبائع، أو الكائنة الفاسدة المتحللة، مثل: (النار، والهواء، والماء، والتراب)[2]. وفي الكيمياء: العنصر مادة أولية لا يمكن تحليلها كيماويا إلى ما هو أبسط منها، ومنها المادة التي تدخل في تكون جسم ما كالهيدروجين والأكسجين في تكون الماء.

وأما في علم المصطلحات، قال الدكتور أحمد مختار عبد الحميد (ت هـ): (العنصريَّة: مذهب يفرِّق بين الأجناس والشُّعوب بحسب أصولها وألوانها، ويُرتِّب على هذه التَّفرقة حقوقًا ومزايا، مذهب المتعصِّبين لعنصرهم، أو لأصلهم العِرقيّ لا تزال العنصريَّة سائدةً في بعض الدّول)[3].

قلت: مما سبق تبين بأن العنصرية تعني عدم الاتحاد والفرقة بين المكونات المختلفة في الجنس الواحد- كما في خاصية الكيمياء- واطلق ذلك على الاختلاف البشرى في الأصول الجنسية واللون والحقوق، والله أعلم.

المطلب الثاني

مفهوم الكراهية العنصرية في السنة النبوية

من خلال تتبع آيات الكتاب الحكيم والسنة النبوية ومقاصد الشريعة الغراء، تبين أن الكراهية العنصرية من مَساوِئ الأخلاق الذميمة، وباب خبيث من أبواب الرفث، والتنابذ بالألقاب، والاسم الفسوق بعد الإيمان، ولا يحوز للمسلم كراهية أخيه المسلم، وقد نهى (صلى الله عليه وسلم) عنها، ففي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(1) الفروق اللغوية للعسكري (ص: 129).
(2) التعريفات (ص11). والكليات(ص199)، والمنجد الأبجدي -عربي فارسي - (1/627). والمعجم الوسيط(2/631).
(3) معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1563).

(صلى الله عليه وسلم): (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)( ).فال الحافظ ابن بطال(ت هـ):(قتاله كفرٌ: يعنى الكفر الذى هو الجحد لله ولرسله، وترك موالاته المؤمنين- للإجماع على أن أهل المعاصي لا يكفرون بارتكابها- وإنما يريد كفر حق المسلم على المسلم، لأن الله قد جعل المؤمنين إخوةً، وأمر بالإصلاح بينهم، ونصرتهم، ونهاهم عن التقاطع ومقاتلة بعضهم بعضًا، وأخبر أن من فعل ذلك، فقد كفر حق أخيه المسلم)( ). وقال ابن بطال: وقد ترجم البخاري – رحمه الله- لهذا الحديث في كتاب الفتن، باب قول الرسول: (لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)( ).

وقال أبو زكريا النووي(ت هـ):(السَّبُّ فِي اللُّغَةِ الشَّتْمُ وَالتَّكَلُّمُ فِي عِرْضِ الْإِنْسَانِ بِمَا يَعِيبُهُ، وَالْفِسْقُ فِي اللُّغَةِ الْخُرُوجُ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الشَّرْعِ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ. وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَسَبُّ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ وَفَاعِلُهُ فَاسِقٌ.. وقتاله كفر: أي قِتَالُهُ الْمُقَاتَلَةُ الْمَعْرُوفَةُ، قَالَ الْقَاضِي-أي عياض- وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمُشَارَّةُ-أَيِ الشَّرَارُ، الْمُتَطَايِرُ مِنَ النَّارِ-وَالْمُدَافَعَةُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ)( ).

وأما إذا كان الكره مقروناً بالتمييز العنصري والعنف والتحريض، أو كان مقروناً بسبب الدين أو اللون أو العرق، فيكون أشد مشقة وفتنة وضرراً بالمجتمع، وتترتب عليه آثار سيئة كانتهاك الحرمات وسفك الدماء، مما يتجاوز حدود الشرع وحقوق المواطنة.

ولعل أقدم دستور في التاريخ البشري حفظ حقوق الأقليات غير المسلمة؛ هي (وثيقة دولة المدينة) التي كتبها (صلى الله عليه وسلم) بين سكانها من المسلمين واليهود وقبائل العرب، والتي صنعت مجتمعاً واحداً، الكل فيه سواسية، وقننت تلك الوثيقة على أساس المواطنة والوحدة والمساواة في الحقوق في إطار التنوع ـ كما ضمنت لغير المسلمين أن يعيشوا بأمن وسلام مع إخوانهم المسلمين( ).

(1) أخرجه البخاري (1/ 19-48). كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ومسلم (1/81-116). كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي (صلى الله عليه وسلم): سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.
(2) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (1/ 111).
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (2/ 54)، وإكمال المعلم شرح صحيح مسلم (1/ 226-117).
(5) سيرة ابن إسحاق (ابن هشام (1/598)، والسيرة النبوية دروس وعبر (ص: 812).

وقد اعترف القانون الدولي المعاصر لحقوق الإنسان بعدد من القوانين والمواثيق، التي تحارب الكراهية العنصرية، وتقدم الحماية لعدد من القيم الإنسانية، والذي يجب على الحكومات منعها[1]؛ بل الواجب شرعاً على حكومات البلاد الإسلامية محاربة هذا الفكر الدخيل على شريعتنا الغراء، والمحافظة على كرامة الإنسان أياً كان، والدعوة إلى التعايش السلمي والتدافع الإيجابي بين شعوب وحضارات العالم.

وفي الحديث عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ)، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ:(أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟)، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ:(أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ:(أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟)، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ:(فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ) قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا ـ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ)، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، قَالَ:(لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)[2].

ومن أولويات مقاصد الشريعة الإسلامية، غرس قيم الفضيلة ومكارم الأخلاق، ومحاربة الرذيلة والفساد، وباعتبارها مظهراً من مظاهر الدين، ودليلاً على عظمتها وعلو شأنها، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ

(1) انظر: قرارات الأمم المتحدة الصادرة في 14 كانون الأول/ديسمبر 1960 (قرار الجمعية العامة 1514 (د15-)) قد أكد وأعلن رسميا ضرورة وضع حد لها بسرعة وبدون قيد أو شرط.

(2) أخرجه أحمد في مسنده (38/ 474-23489)، من طريق إسماعيل بن عُليَّة، عن سعيد الجريري: هو ابن إياس، وأبو نضرة: هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي،، به. وأخرجه أيضا عن أبي سعيد الخدري،، برقم (11762)، وفيه قوله: ((إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى))، وعن عقبة بن عامر، برقم (17313)، وعن أبي ذرٍّ، رضي الله عنهم ، برقم (21407) .وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" 100/3 من طريق أبي قلابة القيسي، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن جابر، قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسط أيام التشريق، فذكره مختصراً. فالحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (1).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (2). أي أن الله–عز وجل– بعثه ليكمل للناس دينهم، وأنزل عليه مما يدخل في هذا المعنى من الوحيين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (3). فكانت بعثته (صلى الله عليه وسلم) ليكمل للناس دين الله تعالى ووفقاً للفطرة بلا تغيير ولا تبديل، ومما لا ريب فيه أن العنصرية من أكبر عوامل الكراهية بين الناس، وهي التي تهدر حقوق الإنسان وتسحق كرامته، وهي التي تصادر حريته وتهبط به إلى الحضيض في معاملته (4)

المطلب الثالث

ذم الكَرَاهِية العنصرية والنهي عنها في السُّنَّة النَّبويَّة

تنظر السنة النبوية للكراهية العنصرية كنوع من نوازع النفس البشرية، وسلوك عدواني فيها، وقد حرم الإسلام التفاضل بين الناس من أجل الجنس أو اللون أو القبيلة، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (5).

وسبب نزول هَذه الْآيَة قَالَ ابْنُ عَبَّاس–رضي الله عنهما–: (نَزَلَتْ في ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، وَقَوْلُهُ في الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يُفْسِحْ لَهُ ابْنُ فُلَانَةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلى الله

(1) سورة البقرة: الآيات (204-209).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (14/ 512-8952)، والطحاوي في مشكل الآثار (11/ 262-4432)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص27)، والحديث حسن الإسناد ورجاله ثقات رجال الضيحين غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وفي حفظه شيء من الضعف، وقال فيه الذهبي في الميزان (3/644-7938): ((إمام صدوق مشهور.))، وقد صحح حديثه جماعة من الأئمة، وفي مصنف ابن أبي شيبة (6/ 324-31773). ذكر الحديث عن زيد بن أسلم مرسلاً.

(3) سورة البقرة: الآية 256.

(4) انظر: نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص 85 وما بعدها.

(5) سورة الحجرات: الآية: 31.

عليه وسلم): (مَن الذّاكرُ فُلانَةَ؟)، فَقَامَ ثَابتٌ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه. فَقَالَ:(انْظُرْ في وُجُوه الْقَوْم)، فَنَظَرَ فَقَالَ:(مَا رَأَيْتَ يَا ثَابتُ؟)، فَقَالَ: رَأَيْتُ أَبْيَضَ وَأَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، قَالَ:(فَإِنَّكَ لَا تَفْضُلُهُمْ إِلَّا في الدِّينِ وَالتَّقْوَى)،فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذه الْآيَةَ)(1).

ولأن الأصل واحد وهما آدم وحواء-عليهما السلام-سَوَاء بسَوَاء، فَلَا وَجه للتفاخر والتفاضل في النّسَب ودعوى الجاهلية. وأما الأمر في الآية (لِتَعَارَفُوا): من أجل معرفة قرب النّسَب وَبعده، فَلَا ينتسب إِلَى غير آبَائه، لَا أَن يتفاخروا بِالْآبَاء أو الدعوة إلى التَّفَاضُل في الْأَنْسَاب، ثمَّ بيَّنت الآية معيار الْفَضيلَة، الَّتي بهَا يفضل الْإِنْسَان على غَيره، ويكتسب الشّرف وَالْكَرم عنْد الله تَعَالَى، قَالَ الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(2). وفي الحديث عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه سلم): (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)(3).

وفي ذلك مما يُوجب على المؤمنين التواضع بعضهم لبعض، وأن لا يترفع المسلم على غيره، بعلم، ولا نسب، ولا مال، ولا جاه، ولا إمارة، ولا وزارة، ولا غير ذلك؛ بل الواجب عليه أن يخفض جناحه للمؤمنين، وأن يتواضع لهم، كما كان أخلاق أشرف الخلق، وأعلاهم منزلة رسول الله (صلى الله عليه سلم)، فكانت أخلاقه التواضع للمؤمنين، حتى إن الصبية لتمسك بيده لتأخذه إلى أي مكان تريد، فيقضي حاجتها عليه الصلاة والسلام(4).

وكما ينبغي أن يكون المؤمنين متحابِّين، ومتصافِّين غير متباغضين، ولا متعادين، يسعون جميعاً لمصالحهم الكليَّة، التي بها قوام دينهم ودنياهم، فلا يتكبَّر شريف على وضيع، ولا يحتقر أحدٌ منهم أحداً، وإن كان الانتماء إلى القبيلة أصل

(1) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص394)، وموهم التعارض بين القرآن والسنة (2/ 3).
(2) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (16/ 66).
(3) أخرجه مسلم (4/1987-2564)، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.
(4) ينظر: شرح رياض الصالحين للنووي (3/ 514).

واجب في الشريعة الإسلامية؛ وجاء الدين بتهذيبها وتوجيهها الوجهة الصحيحة. والكراهية والتباغض والتدابر من أسباب تفريق الأمة وضعف شوكتها وقوتها، وأن أعداء الإسلام لم ييأسوا من المحاولات تكراراً ومراراً، لجعلها أمة متناحرة يكره بعضها بعضاً، من أجل نعرات عنصرية زائفة، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَه (صلى الله عليه سلم) قَالَ:(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ. فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً)(1).

والكراهية العنصرية داء متأصل في الأمم، وخطرها عظيم، وهي من أسباب هلاك الأمم، التي اتصف بمثل هذه الأعمال، وفي الحديث عن الزبير بن العوام– رضي الله عنه–: أَنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه سلم) قال: (دَبَّ إليكم دَاءُ الأُمم قَبلَكم: الحسدُ والبغضاءُ، وَهي الْحَالقةُ أَمَا إنِّي لا أَقُولُ: تَحْلقُ الشَّعْرَ، ولكن تَحْلقُ الدِّينَ، والَّذي نَفْسي بيده، لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتَّى تُؤمنوا، ولا تُؤمِنُون حتى تَحابُّوا، أَلا أَدلُّكم على مَا تَتَحَابُّونَ بِهِ؟ افْشُوا السلامَ بينَكم)(2).

قال الشيخ علي القاري (ت هـ):(قال رسول الله (صلى الله عليه سلم) (دبَّ)، أي: نقل وسَرَى ومَشَى بخِفْيَة إليكم.(وداء الأمم قبلكم)، أي الحسد، في الباطن. (والبَغْضَاء). أي العداوة في الظَّاهر، وسُمِّيا داءً؛ لأنَّهما داء القلب.. وكلٌ واحدة منهما. و(الحالقة)، أي: القاطعة للمحبَّة والألفة والصِّلة والجمعيَّة. والخصلة الأولى هي المؤدِّية إلى الثَّانية، ولذا قُدِّمت. (لا أقول تحلق الشَّعر)، أي تقطع ظاهر البدن فإنَّه أمرٌ سهل، ولكن تحلق الدِّين. وضرره عظيم في الدُّنيا والآخرة. قال

(1) أخرجه مسلم (4/1987-2564)، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

(2) أخرجه الترمذي (4/ 245-2510)، أبواب صفة القيامة، (56 – باب)، وأخرجه أحمد (1/165 167-) والحديث رجاله ثقات غير مولى الزبير، وهو مجهول لا يعرف. وقال: أبو عيسى: (حسن غريب). وأخرجه البزار(2/ 418، 419، 2002)، في كتاب الأدب، باب فضل السلام، وقال الهيثمي في الزوائد(8/64-12732): رواه البزار وإسناده جيد. وللحديث شاهد لأوله كما عند الترمذي من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما، بالرقمين (-2508 2509). ولآخره شاهد عند مسلم من حديث أبي هريرة (1/ 74-93)، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، بلفظ ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"، فالحديث بمجموعه بهذه الشواهد حسن لغيره، وقد ذكر الفقرة الأولى من الحديث المنذري في "الترغيب والترهيب" عن حديث الزبير وقال)). وكذا حسنه الألباني في صحيح الترمذي (2038).

الطيبيُّ: أي البَغْضاء تُذْهِب بالدِّين كالموسى تُذْهِب بالشَّعر، وضمير المؤنَّث راجعٌ إلى البَغْضَاء)[1].

وثقافة الكراهية العنصرية عندما تستولى على النفوس الضعيفة، يتحول المجتمع إلى مجتمع شيطاني، وتصبح فيه الرذيلة معروفاً، والمعروف منكراً، وتنحط الأخلاق والقيم الفاضلة، ويغيب الوعي الاجتماعي في مجتمع الكراهية، وفي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيد الْغِفَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (صلى الله عليه سلم) يَقُولُ:(سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ:(الْأَشَرُ، وَالْبَطَرُ، وَالتَّدَابُرُ، وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ، وَالْبُخْلُ، حَتَّى يَكُونَ الْبَغِيُّ، ثُمَّ يَكُونَ الْهَرْجُ)[2].

وقال عبد الرؤوف المناوي: (ت هـ):شارحًا لهذا الحديث:(الأشر)، أَي كفر النِّعْمَة. و(البطر)، أي الطغيان عِنْد النِّعْمَة وَشدَّة المرح والفرح. و(التَّنَافُسُ) من جمع المَال. و(التشاحن) التعادي في الدُّنْيَا. و(التباغض والتحاسد) أَي تمنى زَوَال نِعْمَة الْغَيْر. و(حَتَّى يكون الْبَغي) أَي مُجَاوزَة الْحَدّ[3]، وهو تحذيرٌ شديدٌ من هذه الأمراض النفسية، ومنها التباغض، والتَّنافس في الدُّنيا؛ لأنَّها أساس الآفات ورأس الخطيئات، وأصل الفتن، ومنها تنشأ الشُّرور والفتن.

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/ 3154-5038).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك(4/ 185-7311)، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي في التلخيص. وأخرجه الطبراني المعجم الأوسط (9/ 23-9076)، وقال: ((لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الغفاري إلا أبو هانئ)). وقال الهيثمي في الزوائد (308/7): فيه الغفاري لم يرو عنه غير حميد بن هانئ، وبقية رجاله)). وقال العلامة الألباني في الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (293/2): ((ورجاله ثقات رجال مسلم غير أبي سعيد هذا، أورده الحافظ في التعجيل(ص488)، عن الهيثمي، وقال: ذكره ابن حبان في الثقات.(5/573-6321)، سماه (أبو سعد الغفاري). وكذا هو في الكنى، لأبي أحمد. ثم وجدته في(تاريخ ابن يونس)، فقال: مولى بني غفار. روى عنه أبو هانىء وخلاد بن سليمان الحضرمي، فأفاد عنه راويا آخر. وكذلك أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (4/379-1) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.. وشذ الدولابي فأورده في فصل المعروفين بالكنى من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كتابه الكنى(1/33) فقال: ((أبو سعيد الغفاري)). ولم يزد. وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث(2/ 340-2543)، قَالَ أَبِي: ((إِنَّمَا هُوَ أَبُو سَعِيد الْغِفَارِيُّ ثم ذكرته لعلي بْن الْحُسَيْن بْن الجنيد، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن صَالح ، عَن ابْن وَهْب ، فَقَالَ: أَبُو سَعِيد الغفاري)).

(3) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (2/ 65).

المطلب الرابع

ذم الكراهية في أقوال العلماء والحكماء والسلف

العلماء هم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم. والعلماء هم الذين يفزع إليهم الناس عند الشدائد والمحن، فيجرى الله على ألسنتهم الحق والحكمة، وهم الذين يروا بنور الله، ويزنوا الأمور بميزان الشرع الحكيم، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ–رضي الله عنهما– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه سلم) يَقُولُ:(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[1]، ومن خلال هذا المبحث سوف نقف على أقوال وحكم العُظماء عن الكراهية العنصرية، ومن خلال النقاط الآتية:

- قال مجاهد بن جبر المكي(ت هـ):(بلغني أنه إذا تراءى المتحابان فضحك أحدهما إلى الآخر وتصافحا تحاتت خطاياهما كما يتحات الورق من الشجر)، فقيل له: إن هذا ليسير من العمل، قال: يقولون يسير، والله يقول: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]. فالمصافحة بين جماعة المسلمين تزيد في المودة والمحبة، وتؤلف بين القلوب، وتبعد الكراهية والبغض، ولو تبعها بالتبسم في وجه أخيه المسلم فهو صدقة، وكما كان من هدي رسول الله (صلى الله عليه سلم) التبسم والتواضع لأصحابه رضي الله عنهم.
- وقال أبو حاتم محمد بن حبان ابن حبان (ت هـ):(العاقل يعلم أن البشر مجبولون على أخلاق متباينة وشيم مختلفة، فكل واحد يحب اتباع مساعدته

(1) أخرجه البخاري (1/ 31-100)، كتاب العلم، بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ. وأخرجه مسلم (4/ 2058-2673) كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

(2) سورة الحجرات: الآية 10.

وترك مباعدته، فمتى رام من أخيه ضد مَا وطن نفسه عَلَيْهِ قلاه- القلى أشد الكراهية- وإذا تبين له منه خلاف مَا أضمر عَلَيْهِ قلبه مله، ومن الملال يكون الاستثقال، ومن الاستثقال يكون البغض، ومن البغض تهيج العداوة، فالاشتغال هذا بمن نعته للعاقل حمق)[1]. والاستثقال من الناس يكون سببه الكره، لارتكاب ما نهي عنه، ومن تعدى حرمات الله أبغضه الله في نظر عباده، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ثم يوضع له البغض في الأرض، فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه.

وقال ابن حبان: (من أراد الثواب الجزيل، واسترهان الود الأصيل، وتوقع الذكر الجميل، فليتحمل من ورود ثقل الردى، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى، باستعمال السنة في الصلة عند القطع، والإعطاء عند المنع، والحلم عند الجهل، والعفو عند الظلم، لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا)[2].

وقال أبو الليث السمرقندي (ت هـ): في تنبيه الغافلين:(مَنْ أَرَادَ فَضْلَ الْعَابِدِينَ، فَلْيُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يُوقِعْ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)[3].

وإصلاح ذات البين بين جماعة المسلمين، من أوسع أبواب المقاصد الشرعية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4]. ومن أجله بعث الله الرسل-صلوات الله عليهم-من أجل تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، والكره والبغض من أعظم الفتن، التي لا يعرف ما فيها من الشر إلا إذا أدبرت، فأما إذا أقبلت فإنها تزين، ويُظن أن فيها خيراً، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر، والمرارة والبلاء، صار ذلك مبيناً لهم مضرتها، وواعظاً لهم أن يعودوا في مثلها، ومن

(1) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص 84). ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاما.
(2) المصدر السابق نفسه (ص 167)، ذكر الحث على العفو عَن الجاني.
(3) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: 520-829).
(4) سورة الحجرات: الآية 10.

نكات الإمام البخاري في صحيحه، استفتح باب الفتن بأبيات من الشعر، ليدلل على أن ليس فيها إلا الظن والهوي ولا مشروعية فيها، فقال: وقال ابن عيينة: عن خلف بن حوشب: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن، قال امرؤ القيس:

الحَــرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُــونُ فَتِيَّــةً •• تَسْعَــى بِزِينَتِهَــا لِكُلِّ جَهُــولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا •• وَلَّــتْ عَجُــوزًا غَيْــرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنْكَــرُ لَوْنُهَــا وَتَغَيَّــرَتْ •• مَكْرُوهَــةً لِلشَّــمِّ وَالتَّقْبِيــلِ ( )

وقال أبو الحسن الماوردي(ت هـ):(وأما ما يصلح به حال الإنسان فيها فثلاثة أشياء، هي قواعد أمره ونظام حاله، وهي: نفس مطيعة إلى رشدها منتهية عن غيها، وألفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها، ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها ويستقيم أوده بها)( ).

فالواجب على كل مؤمن، أن ينصح لنفسه، ويتحرز من مرض الكراهية والعنصرية غاية التحرز، حتى لا يقع قي هذا الوباء الجارف، فيتجرف معه للهلكة، وقد حذرنا النبي (صلى الله عليه سلم) من ذلك أشد تحذير. فقال (صلى الله عليه سلم): (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»)( )، أي كما أمركم الله تعالى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وقال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت هـ):(أن الفواحش والظلم وغير ذلك من الذنوب توقع العداوة والبغضاء، وأن كل عداوة أو بغضاء فأصلها من معصية الله، والشيطان يأمر بالمعصية ليوقع فيما هو أعظم منها، ولا يرضى بغاية ما قدر على ذلك. فالعداوة والبغضاء شر محض

(1) صحيح البخاري (9/ 54)، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر. وينظر: ديوان امرئ القيس (ص149).
(2) أدب الدنيا والدين (ص 146).
(3) أخرجه مسلم (4/ 1983-2559)، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر.

لا يحبها عاقل؛ بخلاف المعاصي فإن فيها لذة كالخمر والفواحش؛ فإن النفوس تريد ذلك والشيطان يدعو إليها النفوس حتى يوقعها في شر لا تهواه ولا تريده، والله تعالى قد بين ما يريده الشيطان بالخمر والميسر.. فقال الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾[1]. ثم قال: و(المنكر): يعم كل ما كرهه الله ونهى عنه، وهو المبغض. واسم (المعروف): يعم كل ما يحبه الله ويرضى ويأمر به، فحيث أفردا بالذكر، فإنهما يعمان كل محبوب في الدين ومكروه...)[2].

وقال محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية(ت هـ):(فأصل الشر من ضعف الإدراك، وضعف النفس ودناءتها، وأصل الخير من كمال الإدراك، وقوة النفس وشرفها وشجاعتها. فالحب والإرادة أصل كل فعل ومبدؤه، والبغض والكراهة أصل كل ترك ومبدؤه، وهاتان القوتان في القلب أصل سعادة العبد وشقاوته)[3].

وقال ابن رجب، الحنبلي(ت هـ)، معلقاً على حديث أَبي الدَّرْدَاء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَن النَّبِيِّ (صلى الله عليه سلم)، قَالَ:(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:(إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ)[4]، قال:(ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين، وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يظهر أنه يبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر معذوراً، وقد لا يكون معذوراً، بل يكون متبعاً لهواه، مقصراً في البحث عن معرفة ما يبغض عليه، فإن كثيراً من البغض

(1) سورة النور: الآية 21.
(2) مجموع الفتاوى (15/ 349).
(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص192).
(4) أخرجه مسند أحمد (45/500-27508)، وأبو داود (7/280-4919)، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين. وأخرجه الترمذي (4/ 244-2509)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والحديث إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين، وعمرو بن مُرَّة: هو ابن عبد الله بن طارق الجَمَلي. وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح، ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)). والحديث صححه قال الشيخ الألباني في الجامع الصغير وزيادته (ص:436-4360، وكذا في صحيح الجامع برقم: (2595).

إنما يقع لمخالفة متبوع، يُظن أنه لا يقول إلا الحق، وهذا الظن خطأ قطعاً، وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه، فهذا الظن قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى والألفة، أو العادة، وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله..)[1].

(1) جامع العلوم والحكم (2/ 266).

المبحث الثاني

أسباب الكراهية العنصرية

هنالك مجموعة من الأسباب المتداخلة التي تغذي فكر الكراهية داخل المجتمعات الإسلامية، مما جعله يتصاعد وينتشر في الآونة الأخيرة عبر المنابر الإعلامية، وتشيع ثقافة العنصرية، بسبب الأحوال السياسية والاقتصادية والأمنية، فمن خلال هذا المبحث سوف نقف عن أهم الأسباب التي تغذي هذا الفكر، ونجمل أبرزها في الآتي:

المطلب الأول

ضعف الإيمان وأصول العقيدة الإسلامية

العقيدة قوة معنوية روحية، تتوازن مع القوة المادية المبثوثة في الأرض، فتقوم على الرقابة الذاتية، القائمة على الإيمان بالله والحساب في الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(1)، وقال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(2). إن الإسلام ربط كل عمل يقوم به المسلم في حياته بغاية عظمية، وهدف سام يعيش له المسلم، ويحيى من أجله، ألا وهو تحقيق العبودية لله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(3).

وإشاعة السلام والمحبة، سبب واجب في بقاء الأمن والسلم الاجتماعي، واستمرار الإنسان على تأدية واجباته، والقيام بحقوق العبودية لله عز وجل، وإعمار الأرض وفق منهج الله سبحانه وتعالى.

فإن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق الضروريات الخمس:(حفظ الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال)، وتحقيق هذه الضروريات يحدث أثراً مهما

(1) سورة غافر: الآية 19.
(2) سورة آل عمران: الآية 5.
(3) سورة الأنعام: الآية 163.

في خلق بيئة سليمة، تحقق شروط وضوابط الاستخلاف في الأرض، التي خلق الله الإنسان لأجلها، فمن اختلت عقيدته، لا يستطيع كبح جُماح شهواته العنصرية، وسوف يكون أداة إفساد في الأرض، لعدم وجود الوازع الديني، ورقابة الضمير الذي يوقف مسببات الكراهية، كما هو الحال في عالمنا المعاصر الذي يمتلئ بالشواهد الحية على ذلك.

إن إشاعة الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم، هي التي تدفع بروابط المحبة والألفة، وتحي بواعث الإخاء والود بين جماعة المسلمين، وتجعل المناخ النفسي مناسباً وملائماً للتنمية والازدهار، وتجعل حياة الناس يسودها الأمن والطمأنينة في النفوس، ويزول الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع.

وفي الحديث عن النُّعْمَان بن بَشير– رضي الله عنه– قال:قال رسول اللَّه (صلى الله عليه وسلم):(مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمهِمْ وَتَعَاطُفهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(1). وعَنْ عَلِيٍّ– رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:(الْمُؤْمنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ لا يُقْتَلُ مُؤْمنٌ بِكَافِرٍ وَلا ذُو عَهْدٍ في عَهْدِهِ)(2).

ومن خلال اتباع تعاليم الإسلام وتوجيهاته، تسمو الأخلاق والروابط الأخوية، والتي سوف تأتي بالنتائج العظيمة، وكما كان الحال في تاريخ الإسلام المشرق، أن الناس تخلوا عن الأخلاق الرذيلة والمذمومة، وأصبحوا إخواناً متحابين مترابطين آمنين، خلقوا مناخاً مناسباً وملائماً للتنمية والازدهار.

(1) أخرجه مسلم (4/1999-2586)، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَاب، بَاب تَرَاحُم الْمُؤْمنينَ وَتَعَاطُفهِمْ وَتَعَاضُدهِمْ.

(2) أخرجه النسائي (14/ 477-4763)، القسَامة، بابَ سقوطَ القود منَ المسلَم للكافر. وأخرجه الحَاكم في المستدرك على الصحيحين (2/153-2623)، وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد عن أبي هريرة وعمرو بن العاص).والحديث حسن، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي حسان الأعرج، فمن رجال مسلم، وهو صدوق، وروايته عن علي مرسلة، وقد حَسن سنده الحديث الحافظ في ابن حجر في الفتح (12/261).

المطلب الثاني

غياب العدالة الاجتماعية

وهي من مبادئ السلم الاجتماعي، وعدم توافرها سببٌ من أسباب الكراهية والبغض، فالاستئثار بالمنافع والموارد الطبيعية، وعدم إعطائها لمن يستحقُّها، أو عدم توزيعها التوزيع العادل بين الناس، يولد فكر الكراهية ويغذيه، وكذلك المعاملات اليومية الجارية بين الناس، في جانب الاقتصاد والعمل، وتأمين ما يحتاجونه من الغذاء والدواء، وعدم تحري أطيب الكسب في البيع والشراء، ومحاربة الفساد المالي والوظيفي، والربا والاحتكار، مما يولد العدوان والكره، وتغيب مبادئ العدالة الاجتماعية.

فالمجتمعات المدنية لابد أن تسودها الفضائل والقيم الرفيعة، ويعلوها الطهر والنزاهة، بعيداً عن الشهوات والنزوات الباطلة. وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ؟) ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) (1).

فالإهمال للعدالة الاجتماعية، وغيابها في وقتنا المعاصر، أصبح من مسببات الكراهية بين القوميات والعرقيات المختلفة، في غياب تعاليم الشريعة الإسلامية، وفتح باب التحريض العنصري على مصرعيه. مما يجعل من الواجب الحتمي على علماء الامة، أن يبينوا للناس مبادي وتعاليم الإسلام، في تحقيق العدالة الاجتماعيّة، وإزالة

(1) أخرجه مسلم (3/ 1315-1688)، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف، والنهي عن الشفاعة في الحدود.

الفوارق بين طبقات المجتمع، ومحاربة الفقر والعوز، والحثّ على العمل والإنتاج، وتأمين الحرّيّة لهم، لممارسة تجاراتهم وأعمالهم، بعيداً عن الاحتكار المحرّم، أو الاستئثار بالمنافع والموارد الطبيعية.

المطلب الثالث

غياب الحرية الاجتماعية

الحرية حق من حقوق الإنسان وكرامته، ومبدأ عظيم من مبادئ الإسلام، وقد كفلتها جميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وإن كانت حرية عقيدة وعبادة، قال الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (1).

وقد قيد الإسلام الحرية بضوابط ومبادئ أخلاقية، تكبح جماحها، وتضفي عليها سمة الاتزان والاعتدال، من أجل ألا تحدث أضراراً، أو مساساً بحريات الآخرين، أو تخالف أداب وقيم المجتمع. فقد جاء في الحديث عَنْ تَمِيم الدَّارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم): (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ، وَلِنَبِيِّهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِعَامَّتِهِمْ)(2).

فالتَّعدِّي على الحريات، تعدي على حقوق الإنسان، وضروريات الحياة، ومن أسباب إشعال نار الصراع والتخاصم، لاكتساب هذ الحق، ولا يعتقد المنادون بشعارات الحرية، أن الحرية في الاسلام مطلقة العنان، وإن كانت حقاً لكل فرد مسلم، ولكنها قيدت بقيود وضوابط شرعية، من أجل أن لا تؤثر على أمن وسلامة المجتمع، أو التحريض على الكراهية، أو تبديد موارد البلاد الاقتصادية والاجتماعية.

فالحرية في نظر الإسلام ليس مجرد شعارات ترُفع، بل هي حق، والتزام عقدي، يجب على كل واحد احترامه، وقد سن الإسلام تشريعات ليحمي هذا الحق، من العبث والإكراه والضياع، سواء في الناحية الدينية، أو السياسية، أو الفكرية، فكل

(1) سورة يونس: الآية 99.
(2) أخرجه مسلم (1/ 74-95)، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

إنسان له الحرية بما يؤمن به، ويعتقده، فلا إكراه في الدين، وليس الحرية أن تلغي دين الإسلام وتعتنق ديناً غيره، لأن فيه الإساءة إلى الإسلام ديناً ودولة، فلا يجوز تبديله أو فسخه، وليس من الحرية التعدي على الملكية الفردية أو العامة، أو إباحة الزنا تحت مسمى الحرية الشخصية، أو خلع ثوب الحياء عن المسلمات العفيفات، أو تهجير الناس وتشريدهم من ديارهم، ولو كانوا من أهل الذمة، أو أهل ملة غير الإسلام، وليس من الحرية تزعزع الأمن والسلم الاجتماعي، عن طريق العنف والحرابة والفساد في الأرض، وليس من الحرية التشهير بالحكام وولاة الأمر والإساءة إليهم، وحمل الناس على عدم إنزالهم أقدارهم، وبنحو ما تقدم من الأغراض غير الصحيحة، التي يُنادى بها باسم الحرية والدين. فالحرية في الإسلام في جوهرها، وقيمها، وعقيدتها، تختلف عن الحرية التي ينادى بها الغرب المسيحي الصليبي، فهي رحمة مسداة، ومكرمة مهداة، للتعايش السلمى والسكينة، لا من أجل الصراع والقتال والتخاصم.

المطلب الرابع

اتباع سياسة الإقصاء والتمكين

يعتبر مفهوم التمكين من مصطلحات السياسة الإستراتيجية الدولية)، تتبنى فيه تشجيع توطين الموارد الاقتصادية، وتشجيع الإنتاج في أوساط الشباب والمرأة، من أجل المساعدة في التنمية، ومكافحة الفقر والحرمان( )، وليس المقصود من سياسة التمكين الاقصاء لفئة اجتماعية معينة، أو نظام سياسي معين، أو العزل والتطهير من الوظائف المدنية والعسكرية بناء على التوجهات الفكرية، وتحت مسمى الصالح العام. وفي ذلك إلحاق الضرر والأذى بالغير، والشعور بعدم المساواة، وعدم تحقيق العدالة الاجتماعية، وفيه عدم تولى الكفاءات العلمية في الوظائف العامة والدستورية، مما يعطل عجلة التنمية، ويدخل المجتمع في صراعات لا جدوى فيها، ويجلب البغض والكراهية بين أفراد المجتمع.

(1) الديمقراطية في السودان عائدة وراجحة، الصادق المهدي (ص382)، مكتبة الجزيرة القاهرة، ط2 (2015م).

وقد تُمارس سياسة الإقصاء والتمكين، في ظل الأنظمة المستبدة، بهدف التمكين لنظام الحكم، ولو كان باسم الدين والشريعة الإسلامية، فالدين لا يقصى أحداً من الناس، ولو كان غير مسلم، ولكن يقرر نظام العدالة والمساواة بين في الحقوق والواجبات، ويأخذ بمبدأ الثواب والعقاب، من غير تعصب ولا تعنت، تحقيقا للعدالة كمطلب شرعي جازم، فقد روى البخاري عن الحسن البصري، أنه قال: (أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، ثم قرأ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(1)، وقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ، فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(2). ﴿بما استحفظوا﴾: استودعوا من كتاب الله وقرأ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(3)، (فَحَمِدَ سليمان ولم يَلُمْ داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا، فإنه أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده).

وقال مزاحم بن زفر: قال لنا عمر بن عبد العزيز: (خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة، كانت فيه وصمة: أن يكون فهماً، حليماً، عفيفاً، صليباً، عالماً، سؤولا عن العلم)(4).(سؤولاً)، أي كثير السؤال عنه، والمذاكرة له مع العلم، من أجل اتخاذ القرارات المناسبة، وفي المكان المناسب، وبعيداً عن الهوى، والانتقام، والتعصب الحزبي والفكري.

(1) سورة ص: الآية: 26.
(2) سورة المائدة: الآية: 44.
(3) سورة الأنبياء: الآية: 78.
(4) أخرجه البخاري (9/ 67)، كتاب الأحكام، بَابٌ: مَتَى يَسْتَوْجِبُ الرَّجُلُ القَضَاءَ.

فالواجب على العقلاء والحكماء، أن يقابلوا كل الإساءات بالعفو والصفح عند حصول القدرة، وليس الإقصاء، حتى يكون ذلك عبرة للمعتبرين، بأن الاستبداد والتسلط ولو كان باسم الدين والعقيدة لن يدم طويلاً، وأن النصر والتمكين يتحقق بالعدل لا بالظلم والفساد في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (1)، قال محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ(ت هـ)-رحمه الله-:(فقد والله أنجز الله عز وجل الكريم للمهاجرين والأنصار ما وعدهم به، جعلهم الخلفاء من بعد الرسول، ومكنهم في البلاد، ففتحوا الفتوح، وغنموا الأموال، وسبوا ذراري الكفار، وأسلم على أيديهم من الكفار خلق كثير، وأعزوا دين الله عز جل، وأذلوا أعداء الله عز وجل، وظهر أمر الله ولو كره المشركون، وسنوا للمسلمين السنن الشريفة، وكانوا بركة على جميع الأمة..)(2).وقد طبق الإسلام قاعدة العفو والصفح والتسامح، في قوله (صلى الله عليه وسلم) (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، وفي أصعب المواقف، لما ثبت في قصة قريش يوم الفتح، أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: لقريش بعد أن دخل الكعبة، وهدم الأصنام، فخطب الناس، وذكر الله، وقال:(يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم، قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم.قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ)، اذهبوا فأنتم الطلقاء.)(3)، وكانت عاقبة ذلك أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، وأعز الله دينه، وقوية شوكة دولة المسلمين، ولم يقاومها أحداً من الدول.

(1) سورة النور: الآية: 55.
(2) ينظر: الشريعة للآجري (4/ 1638.
(3) ينظر: تاريخ الرسل والملوك (3/ 61)، والسيرة النبوية (412/2)، وأخبار مكة(121/2)، وزاد المعاد في هدي خير العباد (3 /408).

المطلب الخامس

التطرف والتنطع والغلو في الدين

الخطاب الديني المتطرف من أكبر روافد غرس فكر الكراهية في نفوس الناس، وقد حذر منه النبي (صلى الله عليه وسلم) تحذيراً شديداً، وفي الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)(1). وفي رواية عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا)(2). فالنهي الوارد عن هذه الاخلاق الذميمة، التي تحلق الدين كما يحلق الموس الشعر، ولأن الإسلام هو دين الرحمة والرفق والتسامح والوسطية، لا دين التشدد والغلو، والمبالغة في ممارسة العبادات الظاهرة والباطنة. وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)(3).

وفي هذا العصر فإن المسلمين هم أكثر من اكتوى بنار التطرف والغلو، فأوردهم المهالك، والكراهية العنصرية وقتل الأبرياء، وسفكت دماؤهم بتأويلات فاسدة، لا تستند على خلق ولا على شرع، ولا ريب أنَّ عدم الرجوع إلى القواعد الشرعية في نوازل الأمة وثوابتها، من شأنه أن يولد الحقد والتطرف الديني، والتشديد والتضييق في الأحكام الشرعية، وتوسيع دائرة الحرام، وعدم قبول أقوال العلماء، أو الحوار معهم، أو مناظرتهم، وخاصة في المسائل التي تتعارض مع آرائهم.

(1) أخرجه أحمد في المسند (3/ 387-3248)، وأخرجه ابن ماجه (2/ 1008-3029)،كتاب الحج، باب قدر حصى الرمي. والحديث إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وعوف: هو ابن أبي جميلة الأعرابي. وأما الشك الذي وقع من عوف في رواية أحمد في الصحابي الذي روى الحديث هل هو ابن عباس أو أخوه الفضل؟ وهذا لا يؤثر، لأن أبا العالية تابعي قديم أدرك الجاهلية، وروى عمن هو أقدم من الفضل من الصحابة رضي الله عنهم.(ينظر: تهذيب التهذيب (3/ 284-539).وقد ورد الحديث من طرق مرفوعاً عن ابن عباس كما في رواية ابن ماجة.

(2) أخرجه مسلم (4/ 2055-2670)، كتاب العلم، بَابُ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.

(3) أخرجه البخاري (8/ 30-6125)، كتاب الأدب، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (يسروا ولا تعسروا)، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس. واخرجه مسلم (3/ 1359-1734)، كتاب الجهاد والسير، ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية–رَحِمَهُ اللهُ– عن أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ:(كذلك في سائر (أبواب السنة) هم وسط، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وما اتفق عليه السابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان)[1].

وقَالَ ابْنُ القَيِّم–رَحِمَهُ اللهُ–:(ومن كيد الشيطان العجيب: أنه يشام النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة ؟.فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام، أخذ في تثبيطه، وإضعاف همته، وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهون عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون يه. وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام، وعلو الهمة، أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول، ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه، نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلوّ. ولا يبالى بأيهما ظفر)[2]. فالواجب على كل مسلم أن يكون على الوسطية، فَلَا تَشْدِيدَ وَلَا غُلُوَّ، وَلَا تَرَخُّصَ وَلَا جَفَاءَ، وَلَا يأتِ بعلل توهن الانقياد والطاعة، ولا سبيل لذلك الا باتباع كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وعلى فهم السلف الصالح – رضوات الله عليهم– وفي كل شأنه.

المطلب السادس

المناهج الدراسية والتربوية المنحرفة

يُعَدُّ المنهج الدراسي من أهم الوسائل في بناء الإنسان فكرياً وعقدياً وسلوكياً، فإن كانت المدخلات التربوية التعليمية تم الاعداد الأمثل لها، كانت مخرجاتها تحصيناً للطالب من مرض الكراهية، وأن يخرج مؤهلاً للتعايش مع المجتمع، والعيش بسلام ووئام، وإن كان العكس كانت المخرجات مشوهة فكرياً واجتماعياً وثقافياً.

(1) مجموع الفتاوى (3/ 375).
(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 115).

لقد عاشت المناهج الدراسية في بلاد الإسلام زمناً طويلاً، تحت سياسات الاستعمار ومفاهيم القوميين العرب، وخاصة في الجانب المعرفي والتربوي، وفي غياب السياسات التربوية الإسلامية، فاشتملت على مفاهيم وأفكار عنصرية في محتواها، تهدف لزرع الكراهية والعنصرية بين أبناء الوطن الواحد، وتُذكي جَذْوَتَ الصراعات القبلية والمناطقية، وتسعى لتقليب الحقائق رأساً على عقب، كالكلام عن تجارة الرقيق لعنصر قبلي محدد، وزرائب وحظائر الرقيق، الذي سميت به المساجد ودور العبادة التي أنشأها الدعاة والمصلحيين الوطنيين، وتربي أبناءنا على هذا الترياق العنصري المنحرف، ردحاً طويلاً من الزمن دون مراجعة أو تطوير للمناهج.

لقد أسهمت المناهج الدراسية والتربوية المنحرفة، بصورة كبيرة في تغذية جذور الكراهية العنصرية، وتزييف الحقائق وتلبيس الباطل، بما يندى له جبين كل تربوي غيور على عقيدته وبلده. ولقد تخرج على ضوء هذه المناهج أجيال من معلمي الأجيال المتعاقبة، الذين قاموا بتدريس نفس هذه المناهج، دون الالتفات لمحتواها وأهدافها الموضوعية.

فالمناهج الدراسية في الإسلام لها دورها الكبير، في التربية والأخلاق والسلوك، وإرساء الأمن الفكري والمجتمعي في جميع جوانبه. والتعدي على المناهج– كما يقول علماء التربية –، أشد خطراً من التعدي على حدود الدول وسيادتها، لما له من أهمية في تحديد هوية الأمة، وإرضاء طموح المجتمع. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(1)، وفي الحديث عن معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)(2). فالعلم يورث الأخلاق الفاضلة الطيبة، وهو أداة خير لمن سلك سبيل القرآن الكريم وهدي النبي (صلى الله عليه وسلم).

(1) سورة المجادلة: الآية: 11.
(2) أخرجه البخاري (1/ 25-71)، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

المطلب السابع

الفوارق العرقية والطبقية داخل المجتمعات الإسلامية

تصنيف المجتمعات لمواطنيها بحسب الطبقات القبلية أو الجنس أو اللون، هو سبب من أسباب جلب الكراهية العنصرية، وإن كان الإسلام في مبادئه أقر نظام القبلية، ولكن جعل معيارها التقوى والصلاح وإذابة الفوارق، وأن تكون القبيلة ملتزمة لشرع الله واقفة عند حدوده، فلا تسلك مسلك الجاهلية في الافتخار والتعاظم بغير حق، بل تكون عزوتها الإسلام، وفخرها التقوى، وشعارها الذي تجتمع عليه دين الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(1). وفي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى-رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)(2). وعن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ-رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّه (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(3). فالإسلام يدعوا للمحافظة على الإخاء، والمساواة بين بنيه، مهما اختلفت أوطانهم وألوانهم وعشائرهم، ويدعوا إلى إماتة النزعات العنصرية، والعصبيات الجنسية، وإلى عدم المفاضلة إلا على أساس التقوى،- وللأسف الشديد - لا تزال هنالك بعض المجتمعات الإسلامية محكومة بعاداتها وتقاليدها وأعرافها، وبعيداً عن تعاليم الإسلام، وصالح العادات وجميل السجايا.

وقد كان المسلمون وأهل الذمة، والعرب وغير العرب، يتقاسمون العيش في الوطن الواحد، دون النظر إلى الفوارق الاجتماعية، أو الاستعلاء العرقي، ويحاربوا

(1) سورة الحجرات: الآية: 13.

(2) أخرجه البخاري (1/ 103-481)، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، وأخرجه مسلم (4/1999-2585)، كتاب البر والصلة، بَاب تراحم المؤمنين وتراحمهم وتعاضدهم.

(3) أخرجه مسلم (4/1999 2586-)، كتاب البر والصلة، بَاب تراحم المؤمنين وتراحمهم وتعاضدهم .

الشهوات التي تزين لهم مخالفة الدين والعقل، ويبتعدوا عن الأرواح الخبيثة، التي حذرهم منها القرآن الكريم، كالنفس الأمارة بالسوء، ووساوس شياطين الإنس والجن، حتى ترجع نفوسهم إلى طريق الحق والصواب، وملازمة الاستقامة في الأقوال والأفعال، وأن يأخذ نفسه بالوفاء بالعهد، وصدق العزيمة، وعدم مجاراة السفهاء، ولهذا كان المسلمون من خيار الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (1). فلا بد للمسلم من مواجهة كافة أشكال التمييز العنصري، والسعي إلى تأسيس ثقافة الاعتزاز بالاختلاف، وأن يكون للدين حضوره الدائم، في معظم الأوساط الإسلامية.

المطلب الثامن

سياسة التمييز العنصري الدولية والمحلية

لا يجوز إثارة الكراهية القومية والمذهبية، وكل ما يؤدي إلى التحريض على التمييز العنصري، أو إثارة خطاب التفريق بين طبقات المجتمع(مسيحي، مسلم، سنى، شيعي)، أو (شمالي، جنوبي، غربي، شرقي)، أو (عربي، أفريقي، أوربي)، كما كانت خياة المجتمع الجاهلي، ومجتمع القرون الوسطى في أوروبا قبل الإسلام، حيث كان اليهود يميزوا أنفسهم عن المسيحيين بشارة صفراء، ترتدي ملابسهم(رباط العنف)، أو قبعة خاصة، تسمى(جودن هاوت)، ونتيجة لهذه السياسة العنصرية النتنة، كره شعوب تلك البلدان اليهود، وتمت سياسة التطهير والاستبعاد، من طرف شعب لشعب آخر، وطردوا من عدة دول أوروبية، كفرنسا، وألمانيا، والبرتغال، وإسبانيا، خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي (2).

فأوهام التفوق العرقي سياسة فاشية، تربط بين البيئة المجتمعية والطبائع البشرية، وتنتهي إلى أحكام تعميمية، في تقسيم الناس بحسب الأقاليم أو الدين

(1) سورة آل عمران: الآية: 110.

(2) المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، يراجع منشورات: إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة نيويورك، (2033م).

أو الجنس، فمثلاً: تنعت أهل الشمال بأنهم مثقفون ومتحضرون، وأهل الجنوب في الدرك الأخير من الحيوانية! وذلك من أجل التفريق وإثارة النعرات العنصرية، وقد أدخل هذه المشاكل السياسة للبلاد الإسلامية المستعمر الصليبي، بعد أن فشلت سياسة العبودية والاسترقاق، فاتبعها بسياسة (فرق تسد) العنصرية، لزرع روح الكراهية بين الشعوب المسلمة.

وقد جاء الإسلام محذراً ومحارياً لهذه السياسة العنصرية، وداعياً إلى تتميم مكارم الأخلاق، فعَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ لَقِيتُ أَبَا بالربدة وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ-أي كيف تلبس حلة ويلبس خادمك أو صبيك نفس الحلة التي تلبسها؟-، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ. فَقَالَ لِي النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَبَا ذَرٍّ! أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[1].

ومن هذه الموروثات الجاهلية تغير موقف أبا ذر- رضي الله عنه-إلى أخلاق الإسلام ومبادئه ومقاصده، ورفع شعار العدالة والمساواة والرحمة، ومن بعد هذا التوجيه السلوكي والأخلاقي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأصبح أبا ذر -رضي الله عنه- يأكل ما يأكل منه خادمه، ويلبس ما يلبس منه خادمه!.

كما دل هذا الموقف على حرص الإسلام في تغيير سلوك اتباعه نحو نشر الحب والإخاء والألفة، وكما كان الحال بين المهاجرين والانصار، والعرب وغير العرب، حتى صار المسلمون قوة أخوية واحدة، ألف الله بين قلوبهم، فتحول المجتمع من قبائل عصبية متناحرة يكره بعضه البعض الآخر، إلى أمة متماسكة متحضرة، تسودها قيم العلم والمعرفة والعفو لا سيما مع أعدائها، وكما ساد التسامح الديني، وخدمة الإنسانية، ورعاية حقوق الإنسان.

(1) أخرجه البخاري (1/ 15-30)، كتاب العلم، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك وأخرجه مسلم (3/ 1282-1661)، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه.

المطلب التاسع

السياسات الاقتصادية الفاشلة

ويُقصد بهذه السياسات حرية العمل والكسب، وحرية التملك، ومراقبة وحماية الأسواق المالية وتنظيمها، وحرية العرض والطلب، وعدم الجشع، والاحتكار، والتعامل الربوي، من أجل تهديد هوية الأمة الإسلامية ووجودها. فإن كانت السياسات الاقتصادية لا تلبى حاجيات الناس الضرورية، فسوف تكون سبباً في انتشار الكراهية والحقد بين مكونات المجتمع، وبين الغني والفقير ونحوهما.

ومن أجل ذلك أهتم الإسلام بالاقتصاد وقضاياه، روي عن أبي سَعيد رضي الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:(التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)(1).

وفرض الإسلام القيود والواجبات على المصالح العامة والضرورية لأفراد المجتمع، التي يترتب عليها الضرر، وقد وردت الأحاديث النبوية في بيان ذلك، فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلَأُ، وَالنَّارُ)(2). لأنها عصب الحياة لكل شيء.

كما حث الإسلام على تشجيع وتحفيز الأفراد على الكسب، والعمل والقضاء على البطالة، باستغلال الطاقات المعطلة في عملية إحياء الأرض، فلو تم توجيه طاقات الشباب المتعطلين، والذين يشكون من البطالة إلى هذه الوجهة لرأينا العجب العجاب، بشرط توفير البيئة المناسبة لهم، وعدم قتلهم وقتل آمالهم بالبيروقراطية والروتين الحكومي، الذي قتل كثيراً ممن قبلهم.

(1) أخرجه الترمذي (3/-515 1209) كتاب البيوع، بَاب ما جاء في التُّجَّار وَتَسْمِيَة النبي (صلى الله عليه وسلم) إِيَّاهُمْ، وقال الترمذي: ((هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْه من حديث الثَّوْرِيِّ عن أبي حَمْزَةَ، وأبو حَمْزَةَ اسْمُهُ (عبد الله بن جَابِر) وهو شَيْخٌ بَصْرِيٌّ حدثنا سُوَيْدُ بن نَصْر أخبرنا عبد الله بن الْمُبَارَك عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عن أبي حَمْزَةَ بهذا الإسناد نَحْوَهُ. والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج2/162-1782).

(2) أخرجه ابن ماجة (2/826-2472)، كتاب البيوع، بَاب الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ في ثَلَاث الحديث صحيح ورجاله ثقات. وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (3/81-578)، وقال: ((هَذَا إسناد صحيح وجالُه موثقون. لأن محمد بن عبد الله بن يزيد أبا يحيى المكي، وثقه النسائي وابن أبي حاتم وغيرهما، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين)). وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجة صحيح ابن ماجة(1/ 89-2464)، وفي إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6 6-1552).

وفي الحديث عن المِقْدَام (رضي الله عنه) عن رسول اللَّه (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا من أَنْ يَأْكُلَ من عَمَلِ يَدِهِ؛ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَام كان يَأْكُلُ من عَمَلِ يَدِهِ)(1). ولا يكون هم السياسة الاقتصادية إثقال كاهل المواطن بالمكوث والخراج (الضرائب)، من دون تقديم المساعدات اللازمة للتجار، والعمل على رخص الأسعار، فأحوال الأسواق لا تستقر على حال، إن لم يكن القائمون على أمرها في درجة عالية من الحيطة والحذر، والتخطيط الاقتصادي السليم.

فقد اضطربت أحوال السوق في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وشكا الناس غلاء الأسعار، فبين لهم (صلى الله عليه وسلم) السياسات والضوابط الاقتصادية التي تدفع الغلاء، ومن أهمها الإيمان بالله تعالى، وما يترتب عليه من مقتضيات الكسب والعمل، والأخوة الإسلامية، والصدق في المعاملات وغيرها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك (رضي الله عنه) قَالَ: غَلا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا سِعْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا أَلْقَى اللَّهَ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا أَحَدًا مِنْكُمْ فِي أَهْلٍ وَلا مَالٍ)(2).

وعن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–، في كتابه لواليه على مصر، قال له: (وتفقد أمر الخراج ما يُصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في جباية الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب الأرض)(3).

(1) أخرجه البخاري (2/-729؛1966)، كتاب البيوع، بَاب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِه بيده.

(2) أخرجه أبو داود(3/272-3451)، كتاب البيوع، بَاب في التَّسْعِير. والترمذي (3/-605 1314)، كتاب البيوع، بَاب ما جاء في التَّسْعِير، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح)). وأخرجه ابن ماجه(2/741-2200)، كتاب البيوع، بَاب من كَرِهَ أَنْ يُسَعِّرَ. والحديث صحيح ورجاله ثقات، وقد رواه حماد بن سلمة عن قتادة، وثابت، وحميد، عن أنس (رضي الله عنه).

(3) الشريف الرضي، نهج البلاغة، المكتبة التجارية مصر – ج3، ص 106-107.

وأوجب الإسلام على الحاكم المسلم أن يتفقد أحوال الأسواق تأسياً بفعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ففي الحديث، عن أبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ على صُبْرَةِ طَعَام فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فقال: (ما هذا يا صَاحِبَ الطَّعَام؟ قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال:(أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ الناس، مَن غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[1].

لقد جاءت تعاليم الإسلام في النواحي الاقتصادية واضحة قاطعة لا تحتمل أي لبس، حتى لا تسد قيم الشر والكره، وضنك العيش بين الناس، وأن تشاع روح الألفة والمحلة، ولكن– وللأسف الشديد– البوم انتشر الفساد الاقتصادي، وفشلت النظريات الرأسمالية والاشتراكية في تلبية حاجة الناس الضرورية، وانهارت الدول الإسلامية، بسبب ما حدث للأمة من تراجع عن أوامر القرآن والسنة النبوية، جاءت النتائج واضحة، في تراجع الأمة كلها وتخلفها وتأخرها في إدارة عجلة الاقتصاد، والأمن الغذائي في البلدان الإسلامية!

(1) (1/-99 102)، كتاب الإيمان، قَوْلِ النبي (صلى الله عليه وسلم): ((من غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)).

المبحث الثالث

آثار الكراهية العنصرية على الأمة الإسلامية

للكراهية العنصرية آثارها السالبة على الأمة الإسلامية والأجنبية، والتي تسعى إلى وجود آليات للوقاية من آثارها في نواحي الحياة المختلفة، سواء على الصعيد الدولي أو الوطني، ومن خلال هذا المبحث سوف نقف على آثار الكراهية العنصرية، على البلاد والأمة الإسلامية، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

الآثار العقدية والتعبدية

اقتضت حكمة الله سبحانه أن خلق الخلق وجعل حاجة الإنسان متعلقة بأخيه المسلم، سواء في جانب إقامة الشعائر الدينية أو المعاملات وغيرها، مما تقوى أواصر الأخوة وعرى الإيمان ضد الشرور والتقاطع والتدابر. وأخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)(1). (ومثل هذه الخصال من كمال الإيمان، وتمام العبودية، والأعمال الصالحة.

وكما أن الحب في الله والبغض في الله من أهم مقتضيات الولاء والبراء عند المسلم، فيبغض ما يبغضه، ويكره ما يكرهه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، من أجل الله تعالى ومحبة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، لأن الله يحب ما يحب عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه. وأخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ،

(1) أخرجه (4/ 1988)2567-). كتاب كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله.

وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا)[1].

وعدم تأدية هذا الواجب المقدس يؤدي لانخراط عرى الإيمان، والرابطة العقدية بين أبناء المجتمع، وانتشار خصال الشر والعنف والكره، كما تحفيز مشاعر الحقد والضغينة تجاه بسبب العرق أو العقيدة أو الجنس؛ وعدم الدعوة إلى التسامح، والقبول بالآخر، وإرساء قيم التعايش بين مختلف الديانات والحضارات، مما يؤدي إلى الانتهاكات الجماعية لحقوق الإنسان وسيادة القانون.

فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل، وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام، والغاية التي خلق الله من أجلها الكون والإنسان. ومن خلالها لا بد أن تظهر الروح السلوكية والأخلاقية والتعبدية في جميع أوجه الحياة، وبما يدلل على أن الدين غير منفصل عن شؤون الحياة العامة، وأن الدين لا يعيق أوجه التطور والتقدم في سبيل نهضة الأمم، بل يحفز القدرات ويدفعها، بأن تكون جميع الأعمال مرتبطة بالعبادات والأجر والثواب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]. وقال الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[3].

وفي الحديث عن أَنَس بْن مَالك، وعَنْ جَابر (رضي الله عنه) قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِس غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِل مِنْهُ لَهُ صَدَقَة، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَة، وَمَا أَكَل السَّبُع فَهُوَ لَهُ صَدَقَة، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْر فَهُوَ لَهُ صَدَقَة، وَلَا يَرْزَؤُهُ[4] أَحَد إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَة).

وَفي رِوَايَة:(لا يَغْرِس مُسْلِم غَرْسًا، وَلا يَزْرَع زَرْعًا فَيَأْكُل مِنْهُ إِنْسَان وَلا دَابَّة وَلا شَيْء إِلا كَانَت لَه صَدَقَة). وفي رِوَايَة:(إِلا كَانَ لَهُ صَدَقَة إِلَى يَوْم الْقِيَامَة)[5]. قال ابن

(1) (8/ 14-6041)، كتاب الأدب، باب الحب في الله.
(2) سورة الأنعام: الآية 163.
(3) سورة البينة: الآية 5.
(4) يَرْزَؤُهُ: براء ثم زاي بعدها همزة أي ينقصه ويأخذ منه (ينظر: تاج العروس (ص125ا)، :وشرح النووي على صحيح مسلم (213/10).
(5) أخرجه البخاري (2/-817 2195)، كتاب المُزَارَعَة، بَاب فَضْل الزَّرْع وَالْغَرْس إذا أُكِلَ منه وقوله تَعَالَى: (أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ). وأخرجه مسلم (3/1188-1553)، كتاب المُزَارَعَة، بَاب فَضْل الْغَرْس وَالزَّرْ.

بطال في شرحه:(وفيها-أي لأحاديث-الحض على عمارة الأرض ليعيش نفسه، أو من يأتي بعده، ممن يؤجر فيه، وذلك يدل على جواز اتخاذ الصناع، وأن الله تعالى أباح ذلك لعباده المؤمنين، لأقواتهم وأقوات أهليهم طلباً للغنى بها عن الناس)[1].

المطلب الثاني

الآثار الاجتماعية

لا بخفي على عاقل ما توقعه جريمة الكراهية من آثار اجتماعية سيئة على الناس، إذ أنها تقسم المجتمع إلى فئات تتفاوت بحسب الطبقة والعرق واللون والجهة، ومحاولة إقصاء جهة على حساب جهة أخرى، مما يضُر بمكونات المجتمع المتعدد الأعراق. واظهار حالات العنف والقتل وإراقة الدماء. وكما يترتب على ذلك انهيار النسيج الاجتماعي، وإشاعة روح الكراهية بين طبقات المجتمع، وانتشار بعض الأمراض الاجتماعيَّة الخطيرة، التي تفتك بالمجتمع وتهدِّد لُحْمَته وتماسكه، كانتشار الإشاعات المغرضة، والتَّحاسد والتَّنافس غير المحمود، وفقدان الأمن والأمان؛ فإذا سادت الكَرَاهِية والبَغْضَاء، أحسَّ الفرد أنه يعيش في غابة بين وحوش يتربَّصون به، ويتحيَّنون الفرص لأذيَّته، فيعيش في قلقٍ دائم لا ينتهي.

كما أن الكراهية لها آثار الاجتماعية المباشَرة وغير المباشرة، على تداعيات الفساد الاقتصادية والسياسية، وعلى استقرار الأوضاع الأمنية والسلم الاجتماعي، والميل إلى ارتكاب الجريمة، والوقوع في الافتراء والبهتان على النَّاس، والتَّحامل عليهم عند الخصومة.

وقد كان للاستعمار الغربي آثاره على المجتمعات الإسلامية، من حيث البنية الاجتماعية، وبناء الأسرة، والعلاقة بين الرجل والمرأة، فقد اهتم بتشويه مكانة المرأة، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة، قياساً على وضع المرأة الغربية، وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم، وتداعت له كتابات ومقالات بعض الأقلام المسمومة،

(1) شرح ابن بطال (ج 11/ص 474.

من بني جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا، وبعيداً عن الحقائق والموضوعية العلمية. فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وبكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وفي الحديث (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)( ).

فالإسلام رفع مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فكرمها منذ طفولتها فلها حق الرضاع، والرعاية، والتعليم، وإحسان التربية، وكرمها وهي الزوجة وهي الأم، وهي عماد الأسرة وقوامها.

المطلب الثالث

الآثار السياسية

يعد الجانب السياسي من أبرز مظاهر الجوانب التي تحتوي على خطاب الكراهية العنصرية، تحت مظلة المفاهيم الديمقراطية والحرية والوطنية، وبهدف تحقيق مكاسب سياسية عنصرية، سواء كانت في ظل الأنظمة الديمقراطية الليبرالية أو الاستبدادية. ومهمتها العمل على إقصاء الشرفاء والأكفاء عن الوصول للمناصب القيادية، وزيادة حالة السخط والنفور من التعاون مع مؤسسات الدولة، وإضعاف كل جهود الإصلاح، وزعزعت الاستقرار السياسي، وتشويه الدور المطلوب من الحكومة، بشأن تنفيذ السياسة العامة للدولة، واستهداف خطط التنمية فيها، مما سيؤدى إلى فساد المسارات، والبرنامج السياسية للحكومة، وضياع هيبة دولة القانون والمؤسسات، وبما يعدم ثقة المواطنتين فيها، وتقويض كافة الجهود الرقابية على أعمال الحكومة والقطاع الخاص. ومن أوائل الدول التي ظهرت فيها هذه النعرات العنصرية، هي الدول الغربية والأوربية في معاداة السامية، وكره المسلمين

(1) أخرجه أبو داود (/ -)، كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البلة في منامه. وأخرجه الترمذي (/ -)، أبواب الطهارة، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، عن عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي: ((وعبد الله بن عمر ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه في الحديث)) والحديث ضعيف من هذا الطريق، لأن في إسناده عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب؛ وهو أخو عبيد الله هذا الذي روى عنه هذا الحديث، وهو وإن كان ثقة في نفسه، ومن رجال مسلم، فإنه ضعيف من قبل حفظه، قال عنه ابن حجر في التقريب(/ -): ((ضعيف عابد)) وباقي رجاله ثقات، والحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الدارمي (سنن الدارمي (/ -) من طريق محمد بن كثير عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة به، ورجال هذه الطريق ثقات رجال الشيخين؛ غير محمد بن كثير المصيصي- وهو صدوق يخطئ. (انظر: التقريب (/ -)، فالحديث بشاهده يرتقي لمرتبة الحسن لغيره- والله أعلم-.

والأجانب، واضطهاد المسيحيين، وسائر أشكال العنصرية، وما يتصل بها من تعصب، وبعيداً عن تشجيع التعايش السلمي والتماسكَ الاجتماعي.

إن الواجب يحتم على السياسيين الاعتدال في الخطاب والبرامج السياسية، والمسلمون جزء لا يتجزأ من نسيج الإنسانية الواحد، وأن يكون التدافع بين الحضارات والدول بالتي هي أحسن، لا اشتعال الحروب، وقوع الفظائع من القتل والإبادة الجماعية، مثل ما وقع في رواندا والبوسنة وانتهاء بـ (روهينغيا)، في بورما !!.

ولابد للأنظمة الحكومية من تفعيل الإجراءات القانونية واللوائح التنظيمية، للتصدي لخطاب الكراهية، ومجابهته متسقاً مع حقوق الإنسان الأساسية. لأن الأفكار العنصرية لا تتوافق مع عقائدنا الدينية، ولا توجهات المسلم السياسية، فضلاً عن موروثاتنا الثقافية والاجتماعية. فالإسلام وضع الأسس العامة للدولة، وأكد على ترسيخ مبادئ أساسية في النظام السياسي، وجعل تطبيق هذه الأسس من الأصول العظيمة، التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، ولم يتعرض في كثير من الأحيان للتفاصيل. وكان من جراء ذلك أن تطورت نظم الحكم، والإدارة، والتشريع في الدولة الإسلامية، حسب الظروف التاريخية، ومقتضيات العصر، وتقاليد الأمم التي دخلها الإسلام، وكل ذلك يتم وفقاً لإطار أحكام الإسلام ومبادئه الأساسية، ومن ثم حظيت الحضارة الإسلامية، بنظم ووظائف ومراسيم، تطورت إلى درجة رفيعة من الدقة والتنسيق.

المطلب الرابع

الآثار الاقتصادية

ويُقصد بها المقاطعة الاقتصادية، وهي من أهم الأسلحة التي تستعملها الدول الكبرى يدعم حماية حقوق الإنسان، ومحاربة الكراهية العنصرية، لتجويع الشعوب

الإسلامية، ويعتبر هذا الاجراء من أشد أنواع العقوبات الاقتصادية، فمن خلالها يتم المنع التام من التعامل مع تلك الدولة، أو مع رعاياها، أو مع المؤسسات التابعة لها، أو الجهات والمؤسسات المؤيدة لها، أو الداعمة لسياساتها.

وهذه المقاطعة يتم تنفيذها في درجات مختلفة، وهي تعتبر أداة سياسية بالدرجة الأولى( ). مما تسبب في أضرارٍ اقتصادية جسيمة في تلك الدولة مع عدم القدرة عن الاستغناء عن الآخر، وهذه السياسة الاقتصادية في وقتنا المعاصر لها أثرها البالغ على اقتصادات الدول في ظل الهيمنة والأنظمة المالية الدولية (الصادر والوارد)، وعصر التكنولوجيا الصناعية في مجالات التنمية والتجارة العالمية، بما يؤدي إلى إعاقة النمو الاقتصادي والحرمان من خطط التنمية، ومنع تبادل السلع الضرورية.

وعلى ضوء هذه السياسة الاقتصادية يتم إضعاف الفعالية الاقتصادية لتلك الدولة، وازدياد الهوة بين الفئات الغنية والفقيرة، وهروب الاستثمارات الوطنية أو الأجنبية، وإهدار موارد الدولة، وسوء استقلالها الاستقلال الأمثل، وبناء على ما سبق يكون التأثير السلبي لسوء الإنفاق العام لموارد الدولة، وبما يحرم قطاعات مهمة مثل الصحة والتعليم والأمن، من الاستفادة من هذه الموارد، مما يلحق تدهور اقتصادي واضح يشمل جميع أوجه الحياة المدنية، وكذلك مشروعات البنية التحتية.

فهذه الحرب الاقتصادية تترك آثارها على الفرد والمجتمع، والمؤسسات الاقتصادية، والبنوك التجارية، والتي تسببت في نتيجتها سياسات الكراهية العنصرية، وقد تعطي الذريعة للمؤسسات الربوية في إثبات تفوقها على البنوك الإسلامية. وكما تعطى الذريعة لأعداء الأمة، بالتدخلات الخارجية في شؤون الدول الإسلامية.

ومما يؤسف له أن سياسة المقاطعة والتجويع قد تنجح في البلدان الإسلامية، التي أصبحت مستهلكة للغذاء والدواء أكثر مما تأكل وتنتج وتركب وتلبس، وبعكس البلدان غير الإسلامية، فهي بلاد منتجة ومقتصدة في جميع شؤون حياتها، ولهذا

(1) المقاطعة العربية لإسرائيل في ظل العولمة الاقتصادية (ص 15.

الأسباب تمت السيطرة على المواد الخام في البلاد الإسلامية، وهبطت أسعار العملات المحلية، وجعل الدولار هو المتحكم في الحركة التجارية، وبديلاً عن الذهب الفضة، وأصبحت الدول الإسلامية مجرد أسواق استهلاكية للسلع الوافدة، ومكبلة بالقروض الربوية، وتمت السيطرة على المصالح الاقتصادية.

المطلب الخامس

الآثار الثقافية

للكراهية العنصرية آثارها المباشرة وغير المباشرة، على الأمة الإسلامية والأمم الأخرى، حيث يوصف المسلم بالإرهاب والتخلف الفكري، والحرمان من قبوله في الأوساط الثقافية والعلمية، سواء أكان طالب علم، أو مشاركاً في المؤتمرات والندوات الثقافية.

وقد حرص الإسلام على تجسيد التعددية الثقافية، التي تميز مجتمعه على سائر المجتمعات، وأقر بتعدد الثقافات واللغات واللهجات بين مواطنية، ومد جسور العلاقة الثقافية خارجياً مع دول العالم، في ظل العولمة والتجانس الثقافي، وعلى أساس قيم الاحترام والمساواة، وكما عمل على تجرّيم الكراهية والعصبية، وأسباب الفرقة والاختلاف، ودعا إلى نبذ العنف والتطرف والتمييز العنصري، وتبنى التقارب بين الشعوب، بغض النظر عن ألوانهم أو أعراقهم أو أديانهم. وأن يتم كل ذلك تحت مفهوم وضوابط الولاء والبراء في الإسلام، وبما يضمن تعزيزها وعدم المساومة عليها، دون إخلال ببقية النصوص الدالة على حسن المعاملة والإحسان إلى الآخرين، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (1).

إن التدافع الحضاري بين الدول مطلب أساس في هذا العصر، شريطة أن يكون بعيداً عن سياسة التشكيك في الروابط الوطنية، أو زعزعت أمن البلد، أو

(1) سورة الحج: الآية: 40.

السيطرة على ثقافة أبنائه من جهات خارجية، أو العبث في ميادين التعليم واقتلاع الجذور الإسلامية من المناهج الدراسية، أو المحاولة بقطع الصلة بين الجيل المعاصر والأجيال الإسلامية السابقة التي سطرت أمجاد الأمة، وحفظت تراثها، وبما لا يدل على الانقضاض على مفهوم الولاء والبراء لإضعافه أو إماتته.

فالإسلام دين عالمي، وللناس كافة، الأبيض والأسود، والعربي والأفريقي، ولهذا تبني عدداً من القيم العالمية المشتركة، التي تساعد على نشر ثقافة السلام، وكشف العيوب الموجودة في البنية السلوكية والقيميّة المحلية، بعيدًا عن قيم الهيمنة، أو الوصاية المعرفية والثقافية.

فلقد قدمت الحضارة الإسلامية للحضارة الحديثة وللتراث الإنساني عموماً فتوحاً في عدد من العلوم والمعارف، وخلفت تراثاً مدوناً يربو على ثلاثة ملايين مخطوطة موجودة في المكتبات العالمية الكبرى في العالم( )، وكذلك مما يكتب ويسجل للحضارة الإسلامية محافظتها على تراث الحضارات الأخرى، ونقلته بأمانة وموضوعية، وما زالت هذه المخطوطات شاهدة على مدى الفائدة الكبرى التي جنتها الحضارة الأوربية والغربية من الحضارة الإسلامية من خلال تلقي العلوم الإنسانية والتجريبية والعمل على ترجمتها والاستفادة منها في بناء نهضتها المعاصرة.

ومن –المؤسف حقاً – نحن أمة لها قيم وتراث عظيم وثقافة راقية في ظل دين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم. فثقافتنا الإسلامية لا تعرف العنصرية والعدوان والغدر والخيانة، بعكس ثقافة المجتمع الغربي الذي ظل تحت هيمنة الكنيسة البابوية–روما– سياسياً واقتصادياً مما كان له الأثر الواضح في نشر مفاهيم الثقافة العدوانية ونقلها للبلدان الإسلامية عن طريق الغزو الصليبي والاستعماري.

(1) ينظر: حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى (ص272 - 275) بتصرف.

المبحث الرابع

طرائق مكافحة الكراهية العنصرية في السنة النبوية

نتيجة للأضرار الجسيمة، والأمراض الاجتماعية السيئة التي تسببها الكراهية العنصرية، حرص الإسلام على مكافحتها والتخلص منها، وذلك باتباع عدد من التعاليم والتشريعات الوقائية، مما يحتم على المؤسسات والدول بذل الجهود والأساليب المتنوعة لتجنيب المجتمعات المحلية والأجنبية شرورها. ومن أهم هذه الطرائق والوسائل تأصيل الإيمان بالله واستشعار مراقبته، والتوجه نحو بناء الشخصية المسلمة، وسن القوانين والتشريعات التي من شأنها مكافحة خطاب الكراهية، وتقنين العقوبة الرادعة بحق كل من يرتكب هذه الجريمة، كما يجب الحرص على نشر الوعي، وتعزيز حرية التعبير بين الناس. وسوف نقترح في هذا المبحث بعض طرق العلاج، وسوف ننعت الدواء حتى يتمكن العلماء والمصلحين وولاة الأمر من القضاء على هذا الوباء القاتل في البلاد الإسلامية وغيرها.

المطلب الأول

زيادة الإيمان واستشعار مراقبة الله تعالى

إن تعميق الإيمان قي القلوب، وتغلغله في النفوس، له الأثر الكبير في استشعار الأخوة الإسلامية، وامتثال أوامر الله ورسوله وتقديمهما على ما سواهما، ومحبة المؤمنين؛ لأن الله أمره بمحبتهما، وفي الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ ممَّا سوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، منْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ) (1).

وفي رواية قَالَ عَمَّارٌ:(ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ

(1) أخرجه البخاري (1/13-21)، كتاب الإيمان، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. وأخرجه مسلم (1/66-67)، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ)[1].

فجعل هذه الخصال علامة على صدق المحبة وصدق الإيمان. فاذا ذاق المؤمن حلاوة الإيمان جعلته يستلذ الطاعات، ويتحمل المشقات في رضي الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وإيثار ذلك على عرض الدنيا كله، واتباع ما أمر الله به ونهى عنه.

والمراد (بالإنصاف)، أي العدل وإعطاء الحق لصاحبه، و(بذل السلام للعالم)، أي السلام بمعناه الشامل وليست التحية فحسب، ويدخل فيه السلامة الاجتماعية بكل صورها وأشكالها، والبعد عن كل ما يناقضها ويزعزع الأمن والاستقرار. فاستشعار المسلم لمراقبة الله تعالى لأقواله وأفعاله وأعماله وتصرفاته، تجعله يحذر من ارتكاب الذنوب والمعاصي، والاستسلام للشرع وسُرعة الانقياد له، وكما تجعله مواطناً صالحاً مطُمئن القلب، ومشارك لمجتمعه في تحقيق الوحدة والوفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلوبُهُم وَإِذا تُلِيَت عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلون﴾[2]، فإذا تأصل الإيمان في نفس المؤمن عمل على توطيد العلاقة ما بينه وبين الله تعالى في جميع المجالات الحياتية، والهداية نحو الطريق المستقيم، وكان له وقاية من فتن الدنيا، والوقوع في المعاصي والآثام.

ومن –المؤسف حقاً –أن نرى مظاهر إساءة استخدام الدين في بعض الأحيان، لتبرير الأعمال العدائية، والتحريض على العنف والكراهية، فيجب على كل مسلم تقوى الله تعالى في السر والعلن، لما لها من أثر عظيم على حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وجزائه في الحياة الآخرة.

(1) أخرجه البخاري تعليقاً (1/ 15)، كتاب الإيمان، بَابٌ: إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ. ووصله عبد الرزاق في جامع معمر بن راشد (386/10-19439)، وابن أبي شيبة في مصنفه (172/6-30440)، في الإيمان، باب مَا ذكر فيما يطوي عليه المؤمن من الخلال، وابن حجر في تغليق التعليق (2/ 36). وصححه العلامة الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية (ص93).

(2) سورة النساء: الآية: 125.

المطلب الثاني

التّربية الفاضلة لبناء الإنسان المسلم

وذلك عن طريق اعتناء المسلم بتربية روحه وتغذيتها ووقايتها، كشأن اعتنائه بتربية جسمه وتغذيته ووقايته، وأن يتم البناء الأخلاقي على أساس تعميق الإيمان، وتعمير القلوب بالقيم والصفات الفاضلة، لأن القلب يكون منه الصلاح والفساد، فاذا صلح القلب صلحت سائر الأعمال، وإذا فسد فسدت سائر الأعمال، وفي الحديث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)(1). فإن تم البناء والإصلاح على هذا الأساس التربوي المتين، وأصبح هو الغذاء والدواء الذي تتربى عليه الروح، صار الإنسان في صورة مثالية، تؤدى إلى تنفيذ المهام الاجتماعية، والتصرف الحضاري المطلوب في الحياة اليومية.

وعلى هذا فالبناء الأخلاقي للمسلم هو العلاج الوحيد، لكل ما أصاب الإنسانية من أمراض اجتماعية، وانحرافات فكرية، مكّنت للرذائل، ووطّأت للكراهية والعنصرية، في تهديد الأمن الإقليمي والدولي. وكما شوهت صورة الإسلام السمحة في نقوس الأعداء، واتخذوا ذلك ذريعة في الكيد للإسلام ودينا ووطنا. فإن التربية الأخلاقية تبدأ مبكراً، وفي ظل التنشئة الأسرية، والمدرسية، والاجتماعية، والتي يقع علي عواتقها مسؤولية التوجيه والإرشاد، وترسيخ قيم المحبة والتسامح والاحترام والتعاون، بدلاً من إثارة الحقد والكراهية في العلاقات الاجتماعية، مما يسهم في نشر الوعي بين أفراد المجتمع، وتعزيز روح التضامن وتقبل الآخر، والوقاية من انتشار أمراض الكراهية العنصرية.

(1) أخرجه البخاري (1/28-52)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. وأخرجه مسلم (5/50-4178)، كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، عن عن النعمان بن بشير رضب الله عنه.

المطلب الثالث

بيان حكم الكراهية وآثارها في منظور الدين الإسلامي

سبق أن بينا مفهوم الكراهية في السنة، وذكرنا أقوال العلماء عنها، والآثار المترتبة عليها اجتماعياً، وبما يغني عن التكرار والإعادة، وفي هذا المطلب نريد الإشارة إلى جهل عوام المسلمين بهذه الاحكام، وفهمها الفهم السليم، والنظر إليها من منظور العقيدة والأخلاق الإسلامية. فالواجب على المؤسسات الدعوية، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكثف الجهود الدعوية من المحاضرات والندوات والأنشطة الثقافية، في المدارس والجامعات والمنتديات الإلكترونية، لتوعية الناس من خطر الكراهية العنصرية، وبيان ما يترتب عليها من آثار سيئة.

ويجب التركيز على ما يظهر كمال الإسلام؛ وحسن ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق، وأن ديننا دين الرحمة، قال الله تعالى مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (1).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية(4): (يخبر تعالى أن الله جعل محمداً (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها، خسر في الدنيا والآخرة)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ (2)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى في صِفَةِ الْقُرْآنِ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (3).

(1) سورة الأنبياء: الآية: 107.
(2) سورة الأنبياء: الآية: 107.
(3) سورة إبراهيم: الآيات 28 - 29.
(4) تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 385).

وروى مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)(1)، وهذه الرحمة هي التي تدفع المسلم إلى بذل جهده في الرأفة بالناس، ولو كانوا غير مسلمين.

فالمسؤولية عظيمة على الدعاة وولاة الأمر، بتبصير الناس بدين الإسلام، وأن لا يساء استخدام الدين في بعض الأحيان، لتبرير الأعمال العدائية، والتحريض على العنف والكراهية. ومن الأهمية بمكان أن تعمل المنظمات الإسلامية بنشاط مع المجتمعات المحلية، ببذل مزيدٍ من الجهود لتقليل التوترات العنصرية، وأن يتم التعاون مع السلطات الحكومية في هذا الشأن.

المطلب الرابع

نشر ثقافة التسامح بين الناس

إن ثقافة التسامح فضيلة إنسانية إسلامية، حث الدين على غرسها في نفوس الناس، من أجل التخلي عن المشاكل الاجتماعية والنفسية والدينية كالكراهية والحقد والعنف والفتن التي تترك اثاراً سيئة في حياة الناس، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(2).

وقال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(3).

وذلك عبر إدارة الحوار بين طبقات المجتمع في القضايا الاجتماعية المختلف عليها، وعدم التعصب للآراء والأفكار، من أجل التوصل إلى الحقائق الفكرية والثقافية الصحيحة.

إن التسامح الاجتماعي يعمل على خلق وعي ثقافي في العلاقات المبنية على التعاون، والتبادل بين الناس بما يضمن لهم العيش بسلام مع الاخرين، والعمل على

(1) أخرجه مسلم (8/ 24-6705)، كتاب الآداب، باب النهي عن اللعن.
(2) سورة النحل: الآية: 125.
(3) سورة الأعراف: الآية: 199.

إزالة الحقد والكراهية، والابتعاد العنف والجريمة، وتنمية روح المواطنة، وتقوية العلاقة الاجتماعية.

وكما أن ثقافة التسامح تخلق وعي معافى عن مظاهر التخلف الاجتماعي، الذي يرتكز على ترسخ مبادئ الحقد والكراهية، وكما أنها تعزز الشعور بالتعاطف والرحمة والحنان في قلوب الناس، مما يساهم في نشر الاحترام والتعاون، وإبراز السلام بين الدول، من أجل عيش حياة اجتماعية خالية من مشاكل الحروب، والنزاعات والصراعات التي تحدث بين أفراد المجتمع.

إن غرس قيم ثقافة التسامح تعمل على تحقيق المحبة والتعاون والألفة بين الناس، وكما تعمل على المساعدة في التحمل للمسؤولية، من أجل الوقوف بوجه مشاكل الحياة الاجتماعية، وإن حصول أي خلل في طبيعة قيم المسامحة سوف يؤدي إلى تكوين الشخصية الاجتماعية المضطربة، وتفكك البيئة المجتمعية، واستعدادها لتشرب القيم السلبية، والتي بدورها سوف تؤدي إلى حالة من التذبذب والاضطراب على مستوى الانتماء الثقافي، وهذا الوضع ربما يقود صاحبه إلى الانعزال عن واقعه الاجتماعي والديني والثقافي.

المطلب الخامس

تقنين العقوبات الرادعة في محاربة الكراهية العنصرية

السلطات الحكومية في البلاد الإسلامية هي التي تتحمل المسؤولية الرئيسة، عن محاربة الكراهية العنصرية، وحماية الناس من جرائمها الوحشية، لأن الكراهية العنصرية هي التي تساعد على ارتكاب أعمال العنف وتشجيعها.

لقد شرع الإسلام العقوبات لزجر الناس وردع المعتدين، كحد الحرابة، والسرقة، والقذف، صيانة لحقوق الناس، وصيانة كرامتهم، وترك الشارع تقدير العقوبات التعزيرية لولاة أمر المسلمين أو من يناب عنهم، من أجل مراعاة المصلحة العليا للمجتمع، في الأمن والاستقرار وسيادة قيم الفضيلة بدلاً عن الرزيلة، وفي الحديث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جِيءَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْرًا، فَقَالَ: (اجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاقْتُلُوهُ فِي الرَّابِعَةِ)(1).

ففي جميع دول العالم هناك دساتير وأنظمة ذات نصوص، تضبط إيقاع العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وعلى ضوء هذه الدساتير تنشئ السلطة التنفيذية القوانين كقانون الأحوال الشخصية، والقانون الجنائي، بحيث تستمد هذه القوانين من روح الدستور وألا تتعارض معه. وأما في البلاد الاسلامية، تستمد هذه الدساتير والأنظمة من مبادئ ومقاصد الشريعة الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية. لأن التهاون في زجر العصاة والمجرمين خيانة للأمانة التي تحملها ولاة الأمر، ومن يناب عنهم في حماية الدين وحراسة بيضة المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(2). قال بعض المفسرين: (الأمانة هي العهد الذي يلزم الوفاء به، ولا يخون الوزير في ذلك الأمانة)(3)، وقال محمد المكي الناصري(ت هـ):(والأمانة: شجرة وارفة الظلال ذات فروع وأغصان، ويندرج تحتها جميع الأعمال التي ائتمن الله عليها الإنسان، فتبدأ بالخلافة عن الله في الأرض، والقيام بتطبيق بنود الدستور الإلهي بين جنباتها-الآية- وتتسع الأمانة شيئاً فشيئاً حتى تشمل واجب المسلم في جميع مجالات الحياة: واجبه نحو ملته، ونحو أمته، ونحو دولته، ونحو مجتمعه، ونحو أسرته وأولاده، ونحو عماله وطلابه، ونحو نفسه التي بين جنبيه، ففي جميع هذه المجالات، وفيما هو أعلى منها أو دونها، توجد أمانة مقدسة، وتوجد مسؤولية كبرى عن تلك الأمانة، حتى لا يضيعها المؤتمنون عليها فيحسبوا في عداد الخائنين. ومن خان أي نوع من أنواع الأمانة الملقاة على عاتقه في أي مجال من مجالاتها يعد خائنا لله ورسوله في نظر الإسلام)(4).

(1) أخرجه أحمد في المسند (8/ 27-7898)، والحديث صحيح ورجاله ثقات، وقال الامام الزهري معلقاً غبى الحديث: ((فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (برجل سكران في الرابعة، فخلى سبيله))وهو اسناد مرسل، ةقد ورد الحديث من طرق أخري وبإسناد صحيح من طريق معاوية رضي الله عنه(28/100-16888)، من من غير كلمة الإمام الزهري المرسلة التي في آخره.

(2) سورة الأحزاب: الآية: 72.

(3) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (2/ 485).

(4) التيسير في أحاديث التفسير (2/ 325).

خاتمة

وتشتمل على النتائج وأهم التوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولاً: النتائج:

. الأخوة الإسلامية والتأخي من أسس بناء الدولة الإسلامية، ولتصبح رمزاً للمودة والمحبة والتلاحم والتآزر، بدلاً عن الحروب والكراهية العنصرية، والعصبيات الجهوية، وبغرض إشاعة ثقافة السلام والتسامح والأمن، وليكن المسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً،

. الدين الإسلامي بتعاليمه يدعوا إلى إذابة الفوارق بين طبقات المجتمع، ويحث على جمع الشتات، ويربط الجميع بأخوة واحدة، فيعيش الأسود والأبيض، والفارسي والعربي والعجمي جميعاً، تحت مظلة الإسلام، كما جاءت به الأدلة الكثيرة من القران الكريم والسنة النبوية.

. الدعوة إلى حسن الخلق، ونشر قيم الفضيلة والعدالة، من الأساليب والوسائل الناجعة في محاربة خطاب وفكر الكراهية العنصرية، والمحافظة على لحمة المجتمع الواحدة، مهما اختلفت الأجناس والأعراق والبلدان.

. السبب الرئيس وراء الكراهية في البلدان الإسلامية، هو الجهل وقلة الفهم بالأحكام الشرعية والآثار المترتبة عليها. فالواجب على ولاة الأمر ومن ينوب عنهم، اتخاذ التدابير والسياسات اللازمة كتنقية المناهج الدراسية، وبناء تربية تعليمية سليمة، أساسها تعزيز الإيمان بالله، وغرس القيم الفاضلة، والتربية الوطنية الصالحة، حتى يدرك الجميع حجم هذه الأمراض، ويتخذ لمداواتها الجرعات اللازمة للتحصين بضدها.

. تقنين العقوبات الرادعة في محاربة الكراهية والعنصرية، بعد بذل النصح والتوعية للناس، وهو من أهم الواجبات التي يطلع بها ولاة أمر المسلم، والتهاون فيها يدخل المجتمع في غياهب العنصرية والكراهية.

ثانياً: أهم التوصيات:

- لا ينبغي أن يفهم من محاربة الإسلام للكراهية، أنه يحرم المحافظة على الانتساب أو الانتماء القبلي، أو الاحتجاجات السلمية التي تقود نحو الإصلاح ومحاربة الفساد، أو يفهم أنه يريد اسكات صوت الأقليات، أو قمع انتقادات السياسات الرسمية، أو المعارضة السياسية، أو المعتقدات الدينية، ولكن ينبغي أن تقييد كل هذه المشاكل بالقواعد والضوابط الشرعية في مثل هذه المواقف.
- الاعتراف بالأهمية الأساسية لحرية التعبير والتسامح، واحترام المساواة في الكرامة لجميع البشر؛ وتحديد الأماكن التي تؤدي إلى استخدام خطاب الكراهية، واتخاذ التدابير المناسبة لوضع حد لها؛ وضمان مشاركة والتزام مجموعة واسعة من الفاعلين في المجتمع وغير الحكوميين، في حل المشاكل الاجتماعية، وإصلاح ذات البين، إلى جانب السلطات العامة.
- يجب إعداد مناهج ومقررات وبرامج تثقيفية في التربية الوطنية، كمقررات دراسية في المدارس، ورياض الأطفال، والجامعات لتوعية الشباب بالنتائج والاخطار السالبة للكراهية العنصرية.
- ينبغي تشديد الرقابة الفورية واللازمة على مواقع التواصل الاجتماعي، عبر خدمات الانترنيت ومنصات التواصل، لمروجي الاشاعات المغرضة، وخطاب الكراهية، وايقاع العقوبات التعزيرية المناسبة، وليس الترويج لمثل هذه الأفكار المنحرقة يُعَدُّ من حرية التعبير في الإسلام.
- يحب على ولاة الأمر والدعاة والعلماء الحث على العفو، وتقديم الاحترام للأخرين، وعدم الانتقام، وقلع جذور الحقد والعدوان والكراهية من نفوس الناس، وذلك باتخاذ الدولة المؤسسات المتخصصة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين بين الناس، كقانون سيادي تنظمه اللوائح والأنظمة.

. ضرورة أن تتولى الجماعات الدعوية، والمؤسسات الدينية ترسيخ ثقافة التسامح، من خلال الخطب الدينية، وعلى منابر يوم الجمعة، وفي المحاضرات والمناسبات العامة، من أجل تعريف دول العالم بأن الإسلام دين الإنسانية والرحمة والعدل والمساواة، وأن لا مشروعية فيه للنزعات العنصرية والعصبيات.

والحمد لله على نعمة الإسلام، وما أكرم الله به عباده المؤمنين من محاسن الأخلاق، وجميل العادات، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

. البدع والنهي عنها: محمد ابن وضاح القرطبي، ت/محمد أحمد دهمان، ن/ [redacted] ط (هـ/ م).

. الثقات: محمد بن حبان البُستي، ت/د.محمد عبد المعيد،ن/دائرة المعارف [redacted] ط (/ م).

. الفتاوى الكبرى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ن/ دار [redacted] ط (هـ/ م).

. المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، ت/مصطفى عبد القادر، ن/ [redacted] ط (هـ/ م).

. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الحموي، ن/ المكتبة العلمية بيروت.

. المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية في مصر، دار عمران، [redacted] ط (هـ/ م).

[redacted] (قرار [redacted] الجمعية العامة (د -) قد أكد وأعلن رسميا ضرورة وضع حد لها بسرعة وبدون قيد أو شرط،

. أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار:محمد بن عبد الله، المعروف بالأزرقي، ت/ رشدي ملحس، ن/دار الأندلس للنشر بيروت.

. أدب الدنيا والدين: علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي، ن/ [redacted] دار مكتبة الحياة، ط(م).

. أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري.، ن/مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر، ابن القيم الجوزية، ت/ محمد حامد الفقي، ن/دار المعرفة بيروت، ط ( ).

. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي(ت هـ).

. الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت/ محمد ناصر الدين الألباني، ن/المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط (هـ/ م).

. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ن/الدار التونسية للنشر – تونس، ط(م).

. التعريفات: علي بن محمد الجورجاني، ط/ (هـ)،ن/ دار الكتاب العربي، ت/إبراهيم الأبياري - بيروت، لبنان.

. التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، ن/ مكتبة الإمام الشافعي الرياض،ط (هـ/ م).

. التيسير في أحاديث التفسير:محمد المكي الناصري، ن/دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان،ط (هـ/ م).

. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه البخاري، ت/ محمد ناصر، ن/دار طوق النجاة، ط (هـ).

19. الجامع: معمر بن راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، ن/ حبيب الرحمن الأعظمي، ن/ المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط2(1403هـ).

- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، ن/ مجلس دائرة المعارف العثمانية-بحيدر آباد الدكن الهند، ودار إحياء التراث العربي بيروت، ط (هـ/ م).
- الْجَوَابُ الْكَافي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافي: محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية، ن/دار المعرفة، ط(هـ/ م).
- الديمقراطية في الإسلام مانديلا وجماعة الصادق المهدي(ص)، مكتبة الجزيرة القاهرة، ط (م).
- الزهد: عبد الله بن المبارك المرزوي، ت/حبيب الرحمن الأعظمي، ن/ دار الكتب العلمية بيروت.
- الزهد: وكيع بن الجراح الرؤاسي، ت/عبد الرحمن الفريوائي، ن/مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط (هـ/ م).
- السيرة النبوية- دروس وعبر: مصطفى بن حسني السباعي، ن/ المكتب الإسلامي، ط (هـ/ م).
- الشريعة: محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ، ت/د.عبد الله بن عمر الدميجي، ن/دار الوطن السعودية، ط (هـ/ م)
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت/أحمد عبد الغفور عطار، ن/دار العلم للملايين بيروت، ط (هـ/ م).
- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت/ خالد بن عثمان السبت، ن/ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط (هـ).
- العلل:عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الرازي، ت/د. سعد الحميد، ود.خالد [illegible] ط(هـ/ م).

. الفروق اللغوية: الحسن بن عبد الله العسكري، ت/محمد إبراهيم سليم، ن/ دار العلم والثقافة مصر.
. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ن/ مؤسسة [redacted] ط (هـ/ م).
. الكنى: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، ن/ دار الفكر بيروت.
. المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت/عبد الفتاح أبو [redacted] حلب، ط (هـ).
. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم): مسلم بن الحجاج، ت/فؤاد عبد الباقي، ن/دار إحياء التراث العربي بيروت، ط(بدون).
. المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، ت/طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، ن/ دار الحرمين القاهرة، ط(بدون).
. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، ت/حمدي السلفي، ن/مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط (بدون).
. المقاطعة العربية لإسرائيل في ظل العولمة الاقتصادية: مغاوري شلبي، ن/مركز [redacted] الإمارات،ط (م)
. المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها: محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي، ت/ محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير، ن/ دار الفكر دمشق سورية، ط(هـ).
. المنجد الأبجدي[قاموس عربي /فارسي]: فؤاد افرام البستاني، المترجم: رضا [redacted] طهران، ط(هـ).

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، ن/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط (هـ).
- المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، يراجع منشورات إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة نيويورك، (م).
- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير بن يزيد، الطبري، ن/ دار الكتب العلمية بيروت، ط (هـ).
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: ابن حجر العسقلاني، ت/د. إكرام [illegible] ن/ دار البشائر – بيروت، ط (م).
- تغليق التعليق على صحيح البخاري: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت/ سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ن/ المكتب الإسلامي، دار [illegible] بيروت – عمان الأردن، ط (هـ).
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت/سامي سلامة، ن/دار طيبة للنشر، ط (هـ/ م).
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين: علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي، ت/محمد الشاذلي النيفر، ن/ مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهري، ت/ محمد مرعب، ن/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط (م).
- جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري، ت/أحمد محمد شاكر، ن/ مؤسسة الرسالة، ط (هـ/ م).
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، ن/مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (هـ/ م).

. حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ط (م).

. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، طبع بيروت، دار الكتاب العربي،ط (هـ/ م).

. ديوان امرِئ القيس: ابن حجر الكندي، ت/عبد الرحمن المصطاوي، ن/دار [illegible] بيروت،ط (هـ/ م).

. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البستي أبو حاتم، ن/دار الكتب العلمية بيروت،لبنان، ط(/ م).

. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم: محمد بن أبي بكر، ط/ بدون (هـ/ م)،دار الفكر، بيروت، ت/ عبد القادر حسونه.

. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ناصر الدين الألباني، ن/ مكتبة المعارف، ط/ الرياض، السعودية.

. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، ت/محمد فؤاد عبد الباقي، ن/دار إحياء الكتب العربية–فيصل البابي، ط(بدون).

. سنن أبو داود: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت/محمد محيي الدين عبد الحميد، ن/ المكتبة العصرية–بيروت، ط(بدون).

. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، أبو عيسى، ت/ وتعليق: أحمد محمد شاكر(جـ ،).

. سنن، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، ن/دار الكتاب العربي، ت/فواززمرلي، وخالد العلمي ط/ (هـ).

. سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي): محمد بن إسحاق، ت/محمد حميد الله، ن/معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

. شرح ابن بطال على صحيح البخاري: ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي، ت/أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ن/ مكتبة الرشد، الرياض، ط/(هـ/ م).

. شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ن/ دار الوطن للنشر، الرياض، ط(هـ).

. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله أبي الحديد، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، ن/ دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه.

. شعب الإيمان للبيهقي، طبع بيروت، دار الكتب العلمية، ت/أبى هاجر زغلول ط (هـ/ م).

. صحيح الترغيب والترهيب. محمد ناصر الدين الألباني، ن/ مكتبة المعارف الرياض- (ط).

. صحيح الترمذي: محمد ناصر الدين، الألباني، ن/ مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط (هـ/ م).

. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي، ط (م) الناشر: دار الكتب العلمية.

. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ت/محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، بتعليق: العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ن/ دار المعرفة، ط(هـ)- بيروت.

. كتاب الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت/مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط(هـ/ م).

. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:علي بن أبي بكر الهيثمي،ت/حسام الدين القدسي، ن/مكتبة القدسي القاهرة، ط (هـ/ م)..

. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن محمد، الهروي القاري، ن/دار الفكر- بيروت- لبنان، ط (هـ - م).

. مسند الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، ت/د. عبد الله عبد المحسن التركي، ن/دار هجر القاهرة، مصر،ط (هـ/ م).

. مسند الإمام أحمد بن حنبل،: ت/الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي، ن/ مؤسسة الرسالة، ط(هـ).

. مسند الروياني: أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني، ت/ أيمن علي أبو يماني، ن/ مؤسسة قرطبة القاهرة، ط ( ).

. مشكل الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، طبعة حيدر آباد بالهند هـ.

. مصنف ابن أبي شيبة: أبوبكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت/محمد شاهين، دار الكتب العلمية ـ بيروت هـ.

. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج، ت/عبد الجليل شاهين، ن/ عالم الكتب بيروت،ط (هـ).

. معجم اللغة العربية المعاصرة:د أحمد مختار عبد الحميد عمر ـ ن/ عالم الكتب، ط (هـ/ م).

. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت/ عبد السلام هارون، ن/ دار الفكر، ط(هـ / م).

. موهم التعارض بين القرآن والسنة: عبد الرحمن بن صالح، المحيميد، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ن/قاعدة المنظومة للرسائل الجامعية، ط(م).

. نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري: عمر عودة الخطيب، ن/ مؤسسة الرسالة، ط(م).